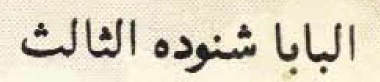
htm




البابا شنوده الثالث

تأملات فى يوم

خميس العهد

البابا شنوده الثالث

تأملات فى يوم

خميس العهد

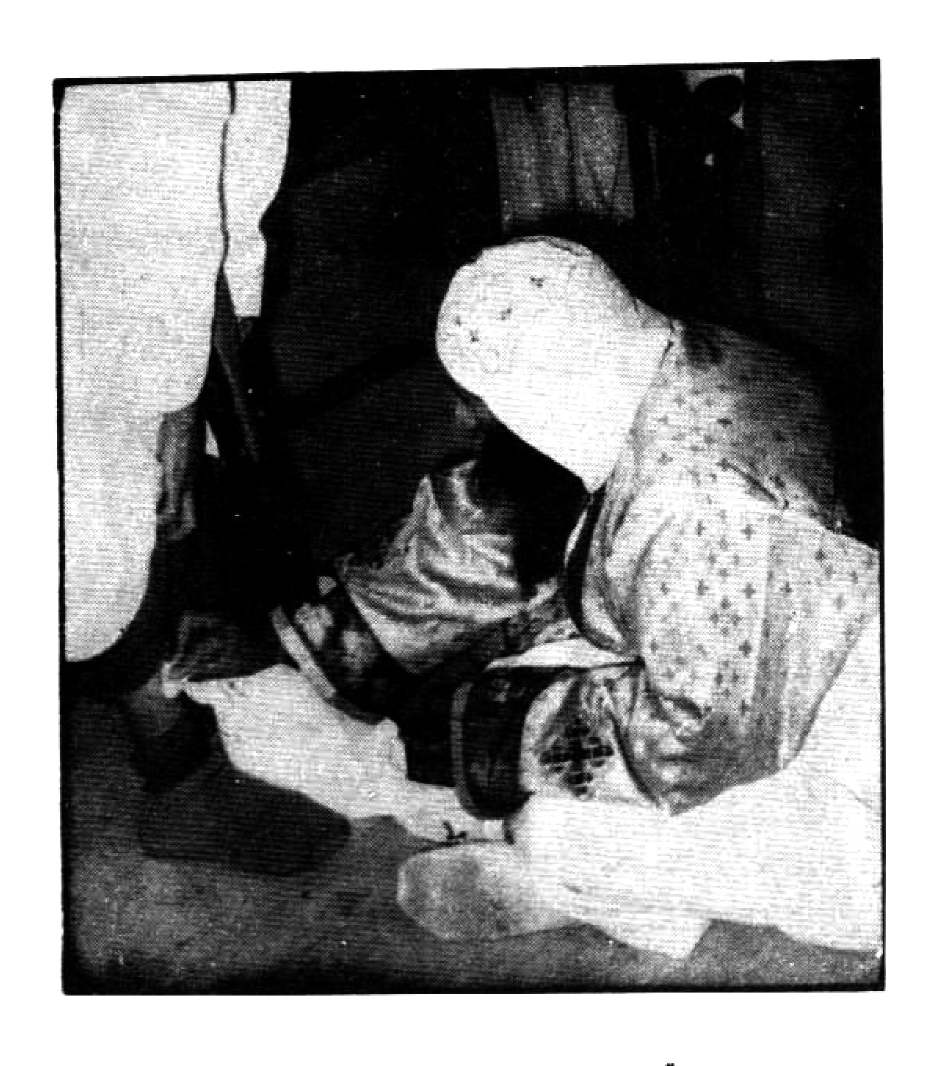
Contemplations On

The Good Thursday

by H.H. Pope Shenouda III

1 st Print
April 1982

الطبعة الأولى
إبريل ١٩٨٢



قداسة البابا شنوده الثالث

مقدمـــه

يوم خميس العهد من الأيام الهامة جداً فى الكنيسة .

وأهم أحداث هذا اليوم العظيم ثلاثة أمور .

١ - غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه ...

وتحتفل الكنيسة بهذا الحدث الهام ، بصلاة اللقان . ثم يغسل رئيس الكهنة ، أو الكاهن الخديم ، أرجل الشعب .

٢ - تأسيس السيد المسيح لسر الإفخارستيا :

وتحتفل الكنيسة به ، بأن تقيم القداس الإلهى لأول مرة خلال البصخة . و يتناول غالبية الشعب عادة ، مستعدين لذلك بالتوبة والإعتراف .

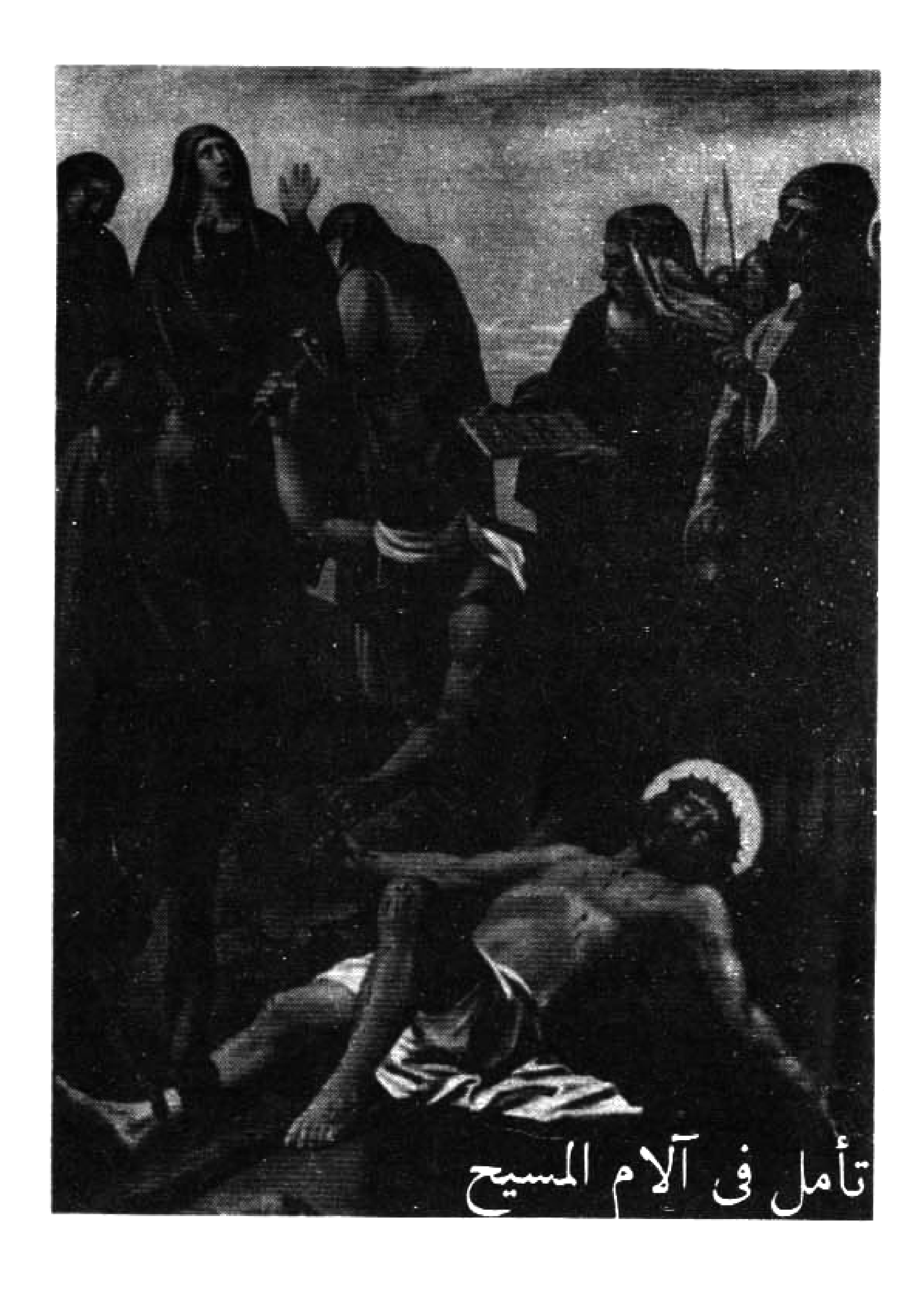
٣ - إهتمام الرب بتلاميذه ، وخطابه الوداعى لهم ، وصلاته لأجلهم .

وفى هذا الكتيب نقدم لك عظات عن هذه الموضوعات الثلاثة ألقيت فى الكاتدرائية الكبرى خلال السنوات من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٩ .

ونرجو فى المستقبل ، إن أحيانا الرب وعشنا ، أن نجمع لك فى مجلد كبير كل ما ألقيناه من عظات فى أسبوع الآلام ، راجين لكم بصخة مقدسة ،،،

شنوده الثالث

فهرست


تأمل فى آلام المسيح

البعض يتكلم عن أسبوع الآلام ، كما لو كانت آلام المسيح محصورة في هذا الأسبوع ! أو كما لو كانت آلامه قاصرة على الصلب ، أو على الآلام السابقة للصليب ، مثل الجلد والضرب وحمل الصليب ، والبصاق والإهانة والإستهزاء وعبارات التحدى الجارحة وشهادة الزور...

كلا ، فإن الألم شمل حياة المسيح كلها .

لم يكن ألمه مجرد أسبوع ، وإنما كان طوال فترة خدمته وقبلها أيضاً ، ومنذ ميلاده . بل أن الوحى الإلهى قد لخص حياة الرب بالجسد ، فى تلك العبارة العميقة المركزة ، التى وصفه فيها بأنه :

« رجل أوجاع ومختبر الحزن » (أش ٥٣ : ٣) .

وقيل عنه أيضاً أنه « تألم مجرباً » (عب ٢ : ١٨) . وأصبح عمق الحياة الروحية هو أن « نتألم معه » (رو ٨ : ١٧) أو ندخل فى « شركة آلامه » (فى ٣ : ١٠) . فكل ألم من أجل البر ، يعتبر شركة فى آلام المسيح .

وقيل عن المسيح إنه حزن واكتأب وبكى .

قيل إنه حزن واكتأب (مر ١٤ : ٣٣) . وقد قال فى البستان « نفسى حزينة جداً حتى الموت » (مت ٢٦ : ٣٨) . ويكفى ما قيل فى أحزانه إن « أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها » (أش ٥٣ : ٤) أى أن كل أحزان البشرية وأوجاعها قد وضعت على كتفيه ، وصارت مشاعر فى قلبه ...

وقد ورد فى الإنجيل أكثر من مرة إنه بكى . لقد بكى على أورشليم (لو١٩: ٤١) وهو يذكر ما سيصيبها من أعدائها ، و بكى عليها أيضاً لأنها لم تعرف زمان افتقادها .

وكذلك بكى عند قبر لعازر ، الذى قالت عنه اخته أنه قد أنتن لأن له أر بعة أيام (يو١١: ٣٥، ٣٩) . بكى وهو يرى كيف أنه بالخطية دخل الموت إلى العالم ، وملك على الإنسان الذى خلق على صورة الله ... وأصبح ممكناً أن هذا الإنسان ينتن ... !

ذاق المسيح الألم ، حتى من يوم مولده .

ولد فى يوم من أشد أيام الشتاء برودة ، فى مكان رطب هو مزود بقر ، إذ لم يكن لأمه موضع فى البيت (لو٢ : ٧) .

و بذل هيرودس كل جهده وحيلته ليقتله ، حتى أنه قتل كل أطفال بيت لحم ، لعله يكون من بينهم ! واضطرت العذراء أن تهرب به إلى مصر . ثم عادت « بعد أن مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى » (مت ٢ : ٢٠) . وقضى المسيح فترة صباه وشبابه مجهولاً ، فى بيت نجار فقير دعى أباً له ، فلم يعرف العالم عن هذه الفترة شيئاً .

وعاش المسيح فقيراً ، يتحمل الضيق لأجلنا .

لم يمش مطلقاً فى الطريق الرحب ، بل عاش حياة كلها ألم ، سواء من جهة الجسد ، أو من جهة النفس .

لم يكن له بيت يسند فيه رأسه . ولم يكن له مال ، حتى عندما طُلبت منه الجزية ، لم يكن له ما يعطيه .

جرب التعب ، وجرب أيضاً الجوع والعطش .

وكمثال لتعبه ، قيل إنه تعب من مشقة وطول الطريق ، وقد مشى مسافات طويلة لكى يخلص المرأة السامرية . وقال الكتاب فى ذلك «فإذ كان يسوع قد تعب هكذا من السفر ، جلس على البئر . وكان نحو الساعة السادسة (فى الظهر تماماً) (يو٤ : ٦) .

وكما جرب المسيح التعب ، جرب الجوع . وحينما نقول الجوع ، لا نقصد الجوع العادى ، كأن يتأخر إنسان ساعة عن موعد أكله ، فيقال إنه جاع ! كلا ، بل حينما قيل عن المسيح أنه جاع على الجبل ، كان المقصود آخر ما يمكن أن تحتمله الطاقة البشرية فى الإمتناع عن الأكل . لذلك حسناً قيل إنه «جاع أخيراً» (مت ٤ : ٢) أخيراً ، بعد صوم إستمر أربعين يوماً .

ولما قيل إنه عطش على الصليب ، كان المقصود به عطشاً لا يحتمل ، بعد أن تصفى تقريباً ما فى جسده من دم ومن ماء ...

أما عطشه وجوعه عند بئر السامرة ، فلم يقل الكتاب وقتذاك أنه شرب ماء . ومن جهة الطعام ، لم يأكل وقال «طعامى أن أفعل مشيئة الذى أرسلنى» (يو٤ : ٣٤) . ولم يقل الكتاب فى تلك المناسبة إنه جاع أو عطش . إنه جوع عادى ، وعطش عادى ، يعبر الكتاب عنهما ...

وفى خدمة المسيح ، جابه ألماً آخر ، هو ألم الرفض :

إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله» (يو ١ : ١١) كان نوراً للعالم ، وهذا النور أضاء فى الظلمة ، والظلمة لم تتركه» (يو١ : ٥) . إنه أمر مؤلم

حقاً ، أن النور جاء إلى العالم ، ولكن أحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة (يو٣ : ١٩) . وتحققت فى الرب نبوءة المزمور « رفضونى أنا الحبيب مثل الميت المرذول » (مز٣٧ : ٢) .

عاش يعامل الناس بالحب ، ولا يجد حباً مقابل حبه .

لم يجد محبة تماثل محبته ، ولا معاملة طيبة تماثل معاملته الطيبة للناس . والعبارة التى قيلت عنه إنه لم يجد موضعاً يسند فيه رأسه (مت٨ : ٢٠) ، كما نفهمها من الناحية المادية الحرفية ، نفهمها أيضاً من الناحية العاطفية كذلك . فقد عاش الرب وسط أشخاص جاحدين ، ناكرين للجميل ، ناكرين للحب .

ذهب مرة إلى بلدته بيت لحم ، فرفض أهلها أن يقبلوه .

لم يؤمنوا به ، بل قابلوه باستهزاء و باحتقار قائلين « أليس هذا هو إبن النجار ؟! من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟! فكانوا يُعثرون به » (مت١٣ : ٥٤-٥٨) حتى قال لهم الرب : ليس نبى بلا كرامة إلاَّ فى وطنه وفى بيته ...

وذهب إلى أحد قرى السامرة ، فأغلقت أبوابها فى وجهه .

حتى غضب تلميذاه لهذا الأمر ، أما هو فاحتمل السامرة بحب كبير وصبر طويل إلى أن تمكن من دخولها فيما بعد والعمل على خلاصها . ولما رأى ثمار تعبه فى السامرة ، قال لتلاميذه : أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه (يو٤ : ٣٨) . نعم إن العمل على خلاص النفس يحتاج إلى

تعب وإلى احتمال ...

أحياناً كان يرى أبواب القلوب مغلقة ، فيقف و يقرع ...

وقد يطول به الوقوف ، حتى يمتلىء رأسه من الطل ، وقصصه من ندى الليل (نش ٥ : ٢) . وهو لا يمل الانتظار ، ولا يخجل منه ...

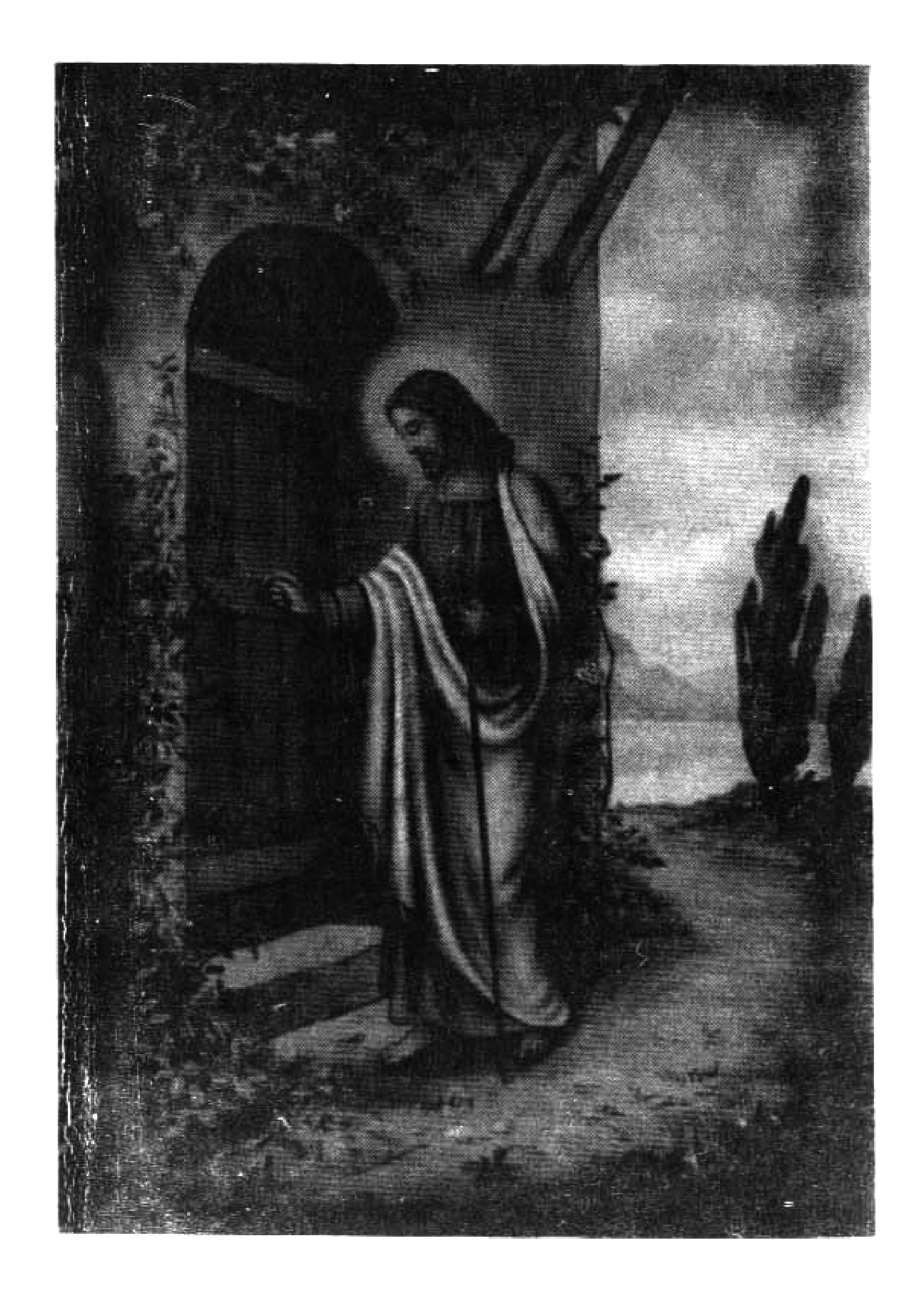
والرب بهذا يعطينا درساً أن كسب محبة الناس يحتاج منا إلى إحتمال وطول بال . فأحياناً تكون القلوب صلبة وشديدة ، ولا يمكن دخولها بسرعة ولا بسهولة ... فإن تعبت في دخول قلوب الناس ، فلا تتضايق . هكذا حدث للمسيح منبع الحب . وإن دخلت قلباً ، ولم تجد فيه محبة مثل محبتك ، فلا تحزن . فهكذا حدث للمسيح قبلاً ، ولم يعامل الناس بمثل معاملتهم .

بل كان وسط الكل « يجول يصنع خيراً » (أع ١٠ : ٣٨) .

« يكرز ببشارة الملكوت ، و يشفى كل مرض وكل ضعف في الشعب » (مت ٤ : ٢٣) مَن مِن الناس لم يأخذ من محبة المسيح ومن تعبه ؟! الكل أخذوا ... حتى الذين رفضوه ، حتى الذين صاحوا فيما بعد اصلبه اصلبه ...

كان يوزع محبته على الكل ، فيلاق إنتقاداً من معلمي الشعب .

إن اشفق على عشار لكى يخلص نفسه ، انتقدوه قائلين « إنه دخل ليبيت عند رجل خاطىء » (لو١٩ : ٧) ، فيجيب المسيح : اليوم حصل خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً إبن لإبراهيم .



ويحتمل الرب هؤلاء المنتقدين ، و يعمل على اقناعهم ليكسبهم .

كم من مرة فعل خيراً ، فانتقدوه على فعل الخير ، من زاو ية معينة ، كما حدث فى الحب الذى بذله نحو العشار ين ليخلصهم . أو نحو السامر ين المرذولين منهم ... وأضطر أن يقول لهم مثل الفر يسى والعشار (لو١٨ : ٩ـ١٤) ومثل السامرى الصالح (لو١٠ : ٣٠ـ٣٥) .

و بالمثل أشفق على تلك المرأة الخاطئة التى بللت قدميه بدموعها ، فانتقده سمعان الفر يسى قائلاً فى قلبه « لو كان هذا الإنسان نبياً ، لعلم من هذه المرأة وما حالها ، إنها لخاطئة » (لو٧ : ٣٩) . فشرح لهذا الفر يسى كيف أن الذى يغفر له الكثير يحب كثيراً .

و بنفس القلب الشفوق الحنون الطيب ، أشفق على المرأة الزانية التى ضبطت فى ذات الفعل ، وأنقذها من القساه المشتكين عليها طالبين رجمها ، وهم يعرفون شفقته على الخطاة ، إنما فعلوا ذلك « ليجر بوه ، لكى يكون لهم ما يشتكون به عليه » (يو٨ : ٦) .

عجيب أن هذا القدوس ، قوبل من قادة الدين فى عصره بسلسلة من الشتائم والاتهامات .

سلسلة من شتائم وإتهامات

قالوا له « أليس حسناً قلنا إنك سامرى و بك شيطان » (يو٨ : ٤٨) . ياللعجب أن يقال عن رب المجد ، الذى يخرج الشياطين

و يطردهم ، إن به شيطاناً ! يقولون له « بك شيطان » ! و يظن المجدفون بهذا أنهم « حسناً قالوا » !

فلا تتعب يا أخى إن قيلت عنك كلمة رديئة ربما أقل من هذه .

فالمسيح قد قيل عنه إنه سامرى و به شيطان . والعجيب أن الرب لما سمع هذه الاهانة ، رد بهدوء عجيب و بدون إنفعال .

ما هذا يارب ؟ قل أن ينزل نار من السماء وتفنيهم . هذا جنس لا تنفع معه الطيبة . أضرب ضربتك فيوقروك ... وكأن الرب يجيب : ليس هذا هو اسلوبى . سأتركهم الآن فى حدتهم . و بعد حين سيعقلون و يتوبون ، و ينظرون إلى الذى طعنوه وجرحوه ، و يندمون .

ما أكثر ما أحتمل الرب من إنتقادات واتهامات .

بل أن كل معجزة كان يصنعها ، كانوا يحاولون أن يغطوا مجدها بشتائمهم وإنتقاداتهم واتهاماتهم .

كان يخرج الشاطين من المصروعين ، فيقولون « ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين » (مت ١٢ : ٢٤) كما لو كان الرب من جند الشيطان !

و يفتح عينى المولود أعمى ، المعجزة التى لم يحدث لها مثيل من قبل . فبدلاً من أن يؤمن أولئك المعاندون به ، نراهم يقولون عنه « هذا الإنسان ليس من الله » . و يقابلون الأعمى الذى أبصر ، و يضغطون عليه قائلين « أعط مجداً لله . نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطىء ... » (يو٩ :

١٦-٢٤) . فلما دافع الأعمى الذى أبصر عن المسيح « شتموه قائلين أنت تلميذ ذاك » كما لو كانت التلمذة للمسيح تهمة وعاراً !!

ياللعجب ! يوصف الرب بأنه سامرى ، وبه شيطان ، وبرئيس الشياطين يخرج الشياطين . ويوصف بأنه خاطىء ، وبأنه ليس من الله ، وبأن التلمذة له عار... وماذا أيضاً ؟

قالوا عنه أيضاً إنه كاسر للسبت (يو ٩ : ١٦) .

وقالوا إنه « أكول وشريب خمر » (لو ٧ : ٢٤) .

وقالوا إنه « محب للعشارين والخطاة » (مت ١١ : ١٩) .

وماذا قالوا عنه أيضاً ؟

قالوا عنه أيضاً أنه « مجدف » و « يتكلم بتجاديف » ... ! (مت ٩ : ٣) .

ورفعوا حجارة ليرجموه (يو ٨ : ٥٩) محاولين رجمه أكثر من مرة (يو ١٠ : ٣١) . وعللوا محاولتهم لرجمه بقولهم له « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف » (يو ١٠ : ٣٣) . وعندما حكم عليه رئيس الكهنة بحكم الموت ، كان الحكم لهذا السبب عينه ، تهمة التجديف ... ! مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً « قد جدف . ما حاجتنا بعد إلى شهود . قد سمعتم تجديفه » (مت ٢٦ : ٦٥) .

إنه مذهل حقاً ، أن رئيس الإيمان ومكمله ، المعلم الصالح المدخرة فيه كل كنوز العلم والمعرفة ، يدعى مجدفاً ، وهو « حكمة الله وقوة الله » (١كو ١ : ٢٤) ...

واتهموه أيضاً بتهم سياسية . فقالوا إنه ضد قيصر ، وأنه « يهيج الشعب » وأنه « يفسد الأمة » (لو٢٣ : ٥ ، ٢) .

هؤلاء الذين أردوا المسيح ملكاً عليهم ، يخلصهم من حكم قيصر ، بل أرادوا أن يختطفوه ليجعلوه ملكاً (يو٦ : ١٥) ، هؤلاء لما رفض المسيح هذا الملك الأرضى ، لأن مملكته ليست من هذا العالم (يو١٨ : ٣٦) ، ولأنه يريد مملكة روحية فى قلوب الناس ، وليس مملكة أرضية ، حينئذ اتهموه بأنه ضد قيصر !!

« وابتدأوا يشتكون عليه قائلين : إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر ، قائلاً إنه مسيح ملك » (لو٢٣ : ٢) !! ياللعجب ، يلفقون هذه التهمة ، ولا يخجلون من عبارته المشهورة « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مر١٢ : ١٧) .

وإذا بهؤلاء الثائرين على قيصر ، الطالبين ملكاً يخلصهم منه ، يتمسحون الآن فى قيصر ، بصغر نفس ، وبالدس والوقيعة ، مقدمين المسيح كمتهم بهذه التهمة . وصمت المسيح لأنه « حمل خطايانا » ...

ولم يكتفوا بتهمة التجديف وبالتهمة السياسية ، بل أيضاً .

اتهموه بأنه مضل ، حتى بعد موته على الصليب لأجلهم ، ولأجل العالم كله . فذهبوا إلى بيلاطس ، وقالوا له « يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال بعد وهو حى ، إنى بعد ثلاثة أيام أقوم فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى » (مت٢٧ :

٦٣، ٦٤) .

وهكذا وصفوه بأنه مضل ، و بأن تلاميذه مثله ، سيقودون الشعب إلى ضلالة أشر... !

هذا هو المسيح الذى « أحصى مع الأئمة » ...
والذى قابل الموت « محتقراً ومخذولاً من الناس » (أش ٥٣ : ١٢) .

حقاً إن السيد المسيح لم يقابل بحب مثل حبه ، فتمت الكلمة المكتوبة فى ناموسهم « أبغضونى بلا سبب » (مز ٦٩ : ٤) (يو ١٥ : ٢٥) .

هذا هو المسيح الذى قدموه كثائر ، ثائر على المجتمع يريد أن يغير عوائده وتقاليده ، وثائر على الدين يقول إنه سيهدم الهيكل و يبنيه فى ثلاثة أيام ، وثائر أيضاً على قيصر ، يمنع أن تدفع جزية له ... هذا الوديع الذى لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ...

هذا هو المسيح ، الذى أبغضه الكثيرين .

فقام ضده الكتبة والفريسيون والصدوقيون والناموسيون ، والشيوخ والكهنة ورؤساء الشعب ... وكانوا يحاولون فى كل مناسبة أن « يصطادوه بكلمة » (مت ٢٢ : ١٥) (مر ١٢ : ١٣) .

وهكذا تعرض كل يوم للمقاومين والمعانيدين ، الذين يحاولون أن يشيعوا عنه باستمرار كلمة ردية ... قاموا على الرب وعلى مسيحه وهم يقولون : لنقطع أغلالهما ، ولنطرح عنا نيرهما (مز ٢) .

إننا عندما نرى آلام السيد المسيح ، نتعزى فى آلامنا .
وعندما نرى آلامه ، نتبكت فى داخلنا ، لأننا سبب آلامه ...

كثيرون يحزنون على آلام المسيح ، وهويز يدون آلامه بأفعالهم وفى كل يوم يضيفون إلى المسيح ألماً جديداً ...
وكثيرون يرون صورة المسيح المصلوب ، فيبكون و يتألمون فى قلوبهم ، بينما هم يصلبون المسيح كل يوم ...

إن أردنا حقاً أن نخفف من آلام المسيح ، علينا أن نتوب ، لأننا بذلك لا تحزن قلبه بخطية جديدة ، ولا نضع قطرة جديدة فى كأس آلامه بسبب خطايانا . فلنترك الخطية إذن ، لنُفرح قلب الله .

لتكن توبتنا مخلوطة بمحبة المسيح المصلوب عنا .
كثيرون يبتعدون عن الخطية ، خوفاً من جهنم والعقاب الأبدى .
ولكن ليتنا نترك الخطية ، لأنها تؤلم المسيح ، وتجرح قلبه المحب ، وليس لمجرد خوفنا من فقد الملكوت ، أو حرصاً على أنفسنا .
لا تكن توبتنا مركزة فى ذاتنا ، نقاوتها ومصيرها ، بل الحرى فلنركز مشاعرنا فى الله الذى أحبنا ، والذى يعتبرها خيانة منا ، أن نقابل محبته بالجحود ، ونضيف إليه بأخطائنا آلاماً أخرى .
ولنطلب من الرب أن يعيننا على أن نحيا فى البر ، حتى لا نؤلم قلبه الذى لم يؤلم أحداً ، قلبه المملوء حباً لنا ، واشفاقاً علينا ، حتى ونحن نخطىء .

المسيح فى آلامه عن خطايانا ، كان يشفق ولا يدين .

الدينونة لها وقت آخر فى مجيئه الثانى . أما فى فترة آلامه ، فقد وضع أمامنا حقيقة معزية وهى : « لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم » (يو١٢ : ٤٧) ...

والأمر الذى يدعو إلى الإعجاب حقاً فى آلام المسيح :

إن كل أخطاء الناس ، لم تغير إطلاقاً من محبته لهم .

كل خياناتهم ورفضهم ، وكل ما حاكوه حوله من دسائس ، وما لفقوه حوله من تهم وأكاذيب ، بل وكل اعتداءاتهم من ضرب ولطم واستهزاء ... كل ذلك لم يهز محبته العظمى التى لا تحد ...

ظل كما هو القلب الكبير ، الذى يسع الكل ... يسع ضعفات أحبائه ، و يسع خيانة الشعب الذى أحسن هو إليه . هذا القلب الكبير الذى صلى لأجل صالبيه قائلاً : « يا أبتاه إغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لو٢٣ : ٣٤) .

حقاً إن محبة المسيح كانت أقوى بكثير جداً من آلامه ...

والمذهل أيضاً فى آلامه ، أنها كانت سبباً لسروره ...

يقول معلمنا بولس الرسول « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع ، الذى من أجل السرور الموضوع أمامه ، إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى » (عب ١٢ : ٢) .

لقد وجد السيد المسيح سروراً فى تحمل الآلام ، من أجل فرحه

بخلاصنا ، لذلك إستهان بالخزى . ولم يتألم عنا متضجراً إنما فرحاً ، بسبب محبته الكبيرة لنا ، ومحبته للآب وإرضائه . فكان فى صلبه « محرقة وقود ، رائحة سرور للرب » (لا ١١ : ٩) .

لقد أعطانا المسيح خلاصاً . والمعطى بسرور يحبه الرب .

كان يعطى حياته فداء عن العالم . وكان عطاؤه ممزوجاً بمحبته ، وكان عطاء بسرور ، من أجل الخلاص العظيم وإتمامه ...

والجميل فى آلام المسيح أيضاً ، أنه قدَّس الألم ...

الألم جاء نتيجة للخطية ، دخل العالم فى أثرها ... كما دخل فى أثرها أيضاً الموت .

وقد أراد المسيح أن يخلصنا من كليهما ، من الألم والموت . فإذا به بالموت قد داس الموت . وإذا بالألم قد قدَّس الألم ، وحوله إلى علامة حب ، وعلامة طاعة .

طاعة للآب ... وحب للبشر .

ونحن كلما ننظر إلى المسيح المتألم ، إنما نذكر حبه ، ونذكر تقديسه للألم ، وقدسية آلام كل الذين احتملوا من أجله ، كالشهداء والمعترفين ، وكل من حملوا الصليب فى حياتهم .

وإذ نحب الألم وقدسيته ، ندخل فى شركة آلام المسيح ...

كما قال القديس بولس الرسول « لأعرفه ، وقوة قيامته ، وشركة آلامه ، مشتبهاً بموته » (فى ٣ : ١٠) .

كيف ندخل فى شركة آلام المسيح ؟

هذا موضوع طويل ، موعدنا فيه محاضرة أخرى ، إن أحبت نعمة الرب وعشنا .

أما الآن فلنستمر فى تأملاتنا فى آلام المسيح لأجلنا . وكيف أنه فى عمق آلامه كان يعمل لأجلنا ، مهتماً بنا .

وفى يوم الخميس الكبير ، وهوعالم أن ساعته قد جاءت (يو١٣ : ١) قدم لنا عملين من أعمال محبته هما :

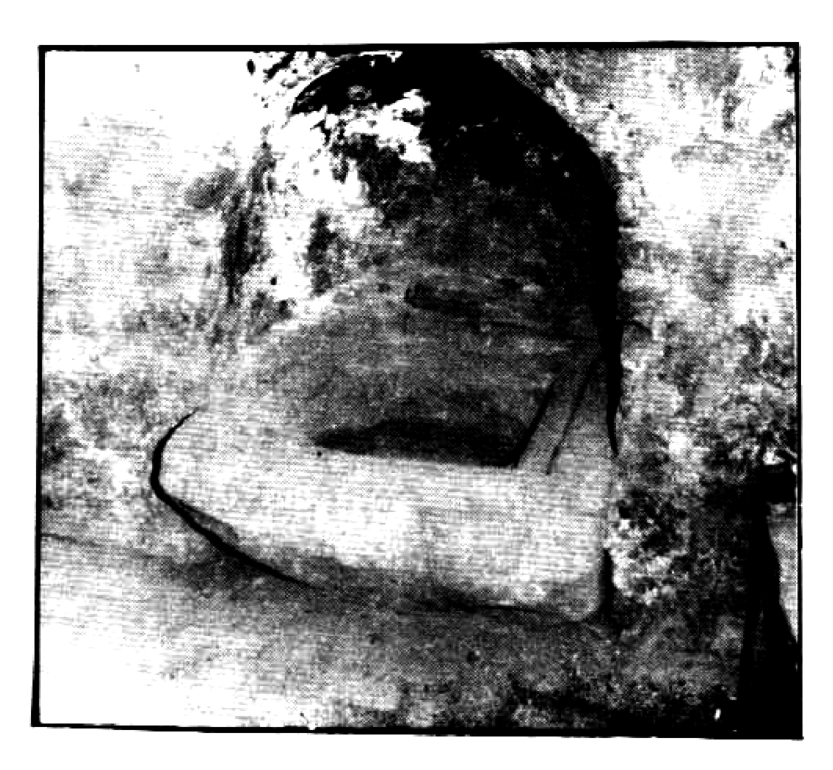
- تقديم جسده ودمه لنا ، لأجل أن نثبت فيه .
- وقبل ذلك غسل أرجلنا ، رمز لتطهيرنا قبل التناول .

فلنأخذ هذين الموضوعين مجالاً للتأمل فى محبة الرب لنا ، أثناء آلامه عنا ...



عظـــة عن اللقـــان
يوم خميس العهد

« قام عن العشاء ، وخلع ثيابه ، وأخذ منشفة واتزر بها . ثم صب ماء في مغسل ، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة » (يو١٣: ٤، ٥) .



دروس روحيــة من المــاء :

لقد غسل السيد المسيح أرجل تلاميذه يوم الخميس الكبير ،
وغسلها قبل التناول ، قبل أن يمنحهم السرائر المقدسة ،
وقال لهم بعد غسل أرجلهم ، ها أنتم طاهرون ...

لعله أراد أن يعطينا درساً عن الطهارة قبل التناول ،
فيتقدم الإنسان إلى الأسزار المقدسة وهو طاهر ...
أو لعله يعطينا درساً آخر ، أن الطهارة منحة من عنده . هو الذى يمنحنا إياها ، هو يغسلنا فنطهر .
ونلاحظ أنه غسل أرجل التلاميذ ، دون أن يطلبوا ذلك ، كما منحنا الفداء العظيم دون أن نطلب ...

أو لعله أراد أن يعطينا درساً فى التواضع ...
فى التواضع ، إذ كيف ينحنى المعلم العظيم ليغسل أرجل تلاميذه ، وكيف ينحنى الرب نفسه ليغسل أرجل صنعة يديه .
ولكى يوضح هذا الدرس ، قال لهم بعد غسل أرجلهم :
« أتفهمون ما قد صنعت بكم ؟ أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك . فإن كنت ـ وأنا السيد والمعلم ـ قد غسلت أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأنى

أعطيتكم مثالاً ، حتى كما صنعت بكم تصنعون أنتم أيضاً » (يو١٣ : ١٢-١٥) .

أو لعل الرب أعطانا بغسل الأرجل درساً فى المحبة ...

فهو من محبته لتلاميذه ، منحهم هذه الطهارة ، كى يمنحهم بنفس المحبة جسده ودمه . ولذلك قيل عنه قبل غسله لأرجل تلاميذه « إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى ... » (يو١٣ : ١) .

ولعل فى الماء دروساً أخرى ، علينا أن نتأملها اليوم :

وأظن أنه من النافع لنا ، أن نأخذ فكرة عن هذا الماء الذى سنغسل به أرجلنا اليوم بعد طقس صلاة اللقان ...

ما هو الماء فى الكتاب المقدس ؟ وما مدى علاقتنا به ؟

الماء فى الكتاب المقدس له على الأقل ثلاثة رموز أو ثلاثة معانٍ . نود أن نتكلم عنها ، ثم نتابع تأملاتنا فيه :

الماء يرمز إلى النقاوة والتطهير ...
و يرمز إلى الحياة ...
و يرمز إلى عمل الروح القدس ،
أو إلى الروح القدس نفسه ...

١ ـ الماء وعمل التطهـــير :

عـمـل الـتـطـهير واضـح جـداً مـن فـصل إنجيل اليوم فى غسل السيد لأرجل تلاميذه . وتوجد أمثلة أخرى كثيرة فى الكتاب المقدس .

ولعلنا نذكر أنه كانت توجد مرحضة فى خيمة الإجتماع ، بين الخيمة والمذبح ، وفى المرحضة ماء « فيغسل هرون و بنوه أيديهم وأرجلهم منها ... عـنـد اقـترابهم إلى المذبح للخدمة ... فر يضة أبدية له ولنسله فى أجيالهم » (خر٣٠ : ١٨-٢١) .

الإغـتـسـال أولاً . الـطـهـارة أولاً ، قـبـل الـتـقـدم إلى المـذبـح والذبيحة .

ومثال الإغتسال فى خيمة الإجتماع ، يقابله أيضاً الإغتسال فى الأردن ، وفى بركة سلوام ، وفى بركة بيت حسدا ...

* **هنا ونقف وقفة تأمل أمام قصة تطهير نعمان السر يانى .**

كـان هـذا الـرجـل أبـرص . والـبـرص كـان نجاسة ، وكان يرمز إلى الخطية ، ويحتاج إلى تطهير . فكيف تم تطهير نعمان من برصه ؟ أمره أليشع الـنبى أن يغطس فى نهر الأردن ليبرأ (٢مل ٥ : ١٠) . ونهر الأردن يذكّرنا بمعمودية يوحـنـا ، حـيـث كان اليهود يأتون إليه ، و يغطسون فى الأردن و ينالون مغفرة خطاياهم ، فيطهرون روحياً ...

أنخرج من هذا بأن ماء الطهارة أيضاً له رمز إلى المعمودية ؟

قصة أخرى يقدمها الكتاب ، وهي شفاء مريض بيت حسدا .

كان فيها أيضاً الشفاء مرتبطاً بالماء . وما أجمل قول الكتاب في تلك القصة إن ملاكاً كان ينزل إلى البركة ويحرك الماء (يو٥ : ٤) . و يتم الشفاء لمن ينزل إلى البركة بعد تحريك الملاك للماء . فالملاك إذن كان بتحريكه للماء ، يعطي الماء فاعلية وقوة .

يذكرني هذا بالأب الكاهن ، عندما يمسك صليبه ، ويحرك به الماء في جرن المعمودية ، أو في اللقان ، وهو يرشم هذا الماء ، و يعطيه قوة وفاعلية ...

أتذكر أيضاً بركة سلوام ، التي أرسل إليها السيد المسيح رجلاً مولوداً أعمى ، لكي يغتسل من مائها ، فيبرأ و يستنير و يبصر (يو٩ : ٧) .

يمكن أن نضم الدموع أيضاً إلى موضوع الماء ...

فالدموع ماء ، يحدث به تطهير للنفس وشفاء للروح ، كما حدث من ماء بركة سلوام ، و بركة بيت حسدا .

في قصة المرأة الخاطئة التي علمت أن السيد المسيح متكىء في بيت الفريسي ، فأخذت قارورة طيب كثير الثمن ، و وقفت عند قدمي المسيح باكية ، وكانت تبلل قدميه بدموعها وتدهنها بالطيب (لو٧ : ٣٨) .

صدقوني لست أعلم : أيهما كان أطيب رائحة ، الطيب أم دموع هذه التائبة ؟! بلا شك الدموع كانت صاحبة الفاعلية ...

كانت دموع هذه المرأة طيباً من نوع غالى الثمن جداً . والسيد الرب طوَّب هذا الطيب الجديد الذى تبللت به قدماه .

إذن الماء مرتبط بالتطهير ، حتى ماء العيون ، حينما يحركه ملاك ترسله النعمة . هنا ونتذكر قول المزمور (مز ٥٠) : **إنضح علىَّ بزوفاك فأطهر .** وماذا أيضاً ؟ يقول المرتل :

« إغسلنى ، فأبيض أكثر من الثلج » ...

والغسيل فى المسيحية بطريقتين : المعمودية ، والتوبة .

ونرى أن الخاطئة يهوذا ، التى وردت قصة تطهيرها فى الأصحاح ١٦ من سفر حزقيال النبى ، قال لها الرب « وجدتك مدوسة بدمك ... فحممتك بالماء ، ودهنتك بالزيت » . الماء هنا يرمز إلى ماء المعمودية الذى يطهَّر به الإنسان من كل خطاياه السابقة الجدية والفعلية . والزيت يرمز إلى زيت الميرون الذى يعطى الروح القدس ، ولكن بعد الماء ...

ولقد ظل الماء رمزاً للتطهير ، حتى أن الكاهن قبل أن يبدأ القداس ، يغسل يديه بالماء ثلاث مرات ، و يقول فيها :

« أغسل يدى بالنقاوة ، وأطوف بمذبحك يارب » (مز ٢٥) .

لا يقول « أغسل يدى بالماء » إنما « أغسل يدى بالنقاوة » لأن غسيل الماء هنا يرمز إلى النقاوة ، كما ترمز إليها الملابس البيضاء التى يلبسها الكاهن وقت الخدمة . وكما كان يغتسل هرون و بنوه قبل تقدمهم إلى المذبح ...

ورمز الماء إلى الطهارة ، كان معروفاً حتى بين الأمم . فبيلاطس البنطى ، لكى يريح نفسه من تعب ضميره ، غسل يديه بالماء وهو يقول «أنا برىء من دم هذا البار» (مت ٢٧ : ٢٤) . طبعاً هو لم يكن بريئاً ، ولكننا نذكر هنا مجرد إيمانه برمز غسيل الماء إلى الطهارة .

هنا ونود أن نطرح تأملاً بسيطاً خاصاً بماء الطوفان ...

لا ننكر أن مياه الطوفان كانت عقوبة من الله . ولكن هل يقف الأمر عند مجرد العقوبة ؟ أم كانت هذه المياه تطهيراً للأرض من الخطية والخطاة ، تطهيراً للأرض من الفساد الذى نجسها ، فغسلها الله من خطايا الإنسان ، بالماء ليطهرها ويجددها لكى تحيا مرة أخرى فى نقاوة...

إن غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه كان يرمز لتطهيرهم .
ولا شك أن هذا كان لازماً فى مناسبة الفصح وعيد الفطير.

نلاحظ من قراءات الكنيسة فى طقس الخميس الكبير ، فى هذه الساعة المقدسة وماقبلها ، أن غسل الأرجل تم فى اليوم الأول من عيد الفصح وعيد الفطير .

الفطير يرمز للنقاوة والطهارة التى تليق بتناول الفصح ، بينما الخمير يرمز إلى الشر . وقد غسل السيد المسيح أرجل التلاميذ فى هذه المناسبة المقدسة ، التى جمع فيها بين عيد الفصح ، وبين تقديم نفسه فصحاً عنا .

ومعلمنا بولس الرسول أشار إلى كل هذا بقوله : لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا . فلنعيِّد لا بخمير الخبث والشر ، بل بفطير

الإخلاص والحق (١ كوه : ٧، ٨) .

وخروف الفصح قديماً كانوا يأكلونه مع فطير (خر١٢ : ٨) رمزاً إلى النقاوة التي تليق بالأكل من خروف الفصح . حقاً إن خروف الفصح قد خلصهم من الموت ، والملاك المهلك لما رأى الدم عبر عنهم . ولكنهم لكي يتمتعوا بذلك الخلاص لابد أن يعيشوا في فطير دائم ترمز إليه السبعة الأيام ، أي في نقاوة كاملة . وكل نفس تستبقي في بيتها خميراً في أيام الفصح (أي شراً) تقطع تلك النفس من جماعة الشعب (خر١٢ : ١٩) .

والسيد المسيح مع الفصح غسل أرجل التلاميذ ، رمزاً للنقاوة التي يشير إليها الفطير .

وغسل الماء يرمز إليضاً إلى المعمودية ...

والكتاب المقدس يسميه غسيل أو حميم الميلاد الثاني (تي ٣ : ٦) .

في المعمودية توجد عملية تطهير من جميع الخطايا السابقة ، سواء الأصلية أو الفعلية ، عن طريق الماء والروح .

وسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى في سياق حديثنا ...

ونكتفي الآن في مناسبة اللقان ، برمز الماء إلى عمل التطهير ، ونحن مقبلون على هذا السر العظيم ، التناول من جسد الرب ودمه ...

٢ ـ الماء يرمز إلى الروح القدس :

وهذا واضح من قول الرب في الإنجيل المقدس « من آمن بي ـ كما قال الكتاب ـ تجري من بطنه أنهار ماء حي . قال هذا عن الروح الذي

كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » (يو٧ : ٣٨) .

ولأن روح الله شُبه بالماء ، لذلك فإن تلاميذ الرب الممتلئين بالروح شُبهوا بالأنهار. وكذلك الأناجيل الموحى بها من الروح .

وهكذا قيل عن الكنيسة المقدسة فى المزمور (مز٢٣) « هو على البحار أسسها ، وعلى الأنهار هيأها » . وحسن ما ورد فى **قصة الخليقة أن أربعة** أنهار كانت تروى الجنة (تك٢ : ١-١٤) . ولعلها ترمز **إلى الأناجيل ،** التى تروى المؤمنين جميعاً ، والتى كتبت بالروح القدس **« الناطق** بالأنبياء » .

ولأن الماء يرمز إلى الروح ، شبه الله نفسه بالماء ،

فقال « تركونى أنا ينبوع المياه الحية . لينقروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشققة لا تضبط ماء » (أر٢ : ١٣) .

وأصبح الشخص الذى يحيا حياته مرتوياً من الروح القدس ،
يُشبّه بشجرة مغروسة على مجارى المياه ،
إنها تحيا بهذا الماء ، وبه تنمو . وبدونه تموت ...
وهكذا ارتبط الماء أيضاً بالحياة ،
ولقب أيضاً فى الكتاب بالماء الحى .

٣ - إرتباط الماء بالحياة :

حتى الحياة الجسدية ترتبط أيضاً بالماء ، سواء كانت حياة لإنسان أو

نبات أو حيوان . وقد قيل فى قصة الخليقة إن الله أخرج من الماء ذوات الأنفس الحية (تك ١ : ٢٠ ، ٢١) .

والحياة الروحية أيضاً ترتبط بالماء ...

تبدأ بالولادة من الله ، الولادة التى من فوق ، من الماء والروح (يو٣ : ٣ ، ٥) . ولماذا الماء ؟ لأن الروح القدس يعمل فى الماء ، وفيه يطهِّر ويحيى ، يعطى نقاوة وحياة .

يغتسل الإنسان فى ماء المعمودية فيأخذ طهارة . يموت الإنسان العتيق ، ويحيا إنسان جديد على صورة الله . فينال الإنسان حياة ، و ينجو من حكم الموت ...

هذه هى المعمودية . ولها رموز فى العهد القديم أيضاً ...

قال القديس بولس الرسول « لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا ، أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة ، وجميعهم اجتازوا فى البحر ، وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر» (١ كو١٠ : ١ ، ٢) .

السحابة ماء ، والبحر ماء ، وكلاهما كان للمعمودية .

هذا الماء دخله آباؤنا شعباً مستعبداً تحت عبودية فرعون . وخرجوا منه شعباً حراً تحت قيادة الله وموسى .

هذا الشعب الهارب من العبودية ، دخل الماء والموت يجرى وراءه ، وخرج منه وقد نال حياة جديدة إنتصرت على الموت .

حدث تغيير هام فى اجتياز هذا الشعب للماء ...

وكانت السحابة تظللهم باستمرار ، لأنهم كانوا يعيشون فى ظل هذا الماء الحى ، أو الماء المحيى ، طول مدة غربتهم فى البرية التى ترمز إلى غربة هذا العالم الحاضر.

إن السيد المسيح يدعونا إلى مائه و يقول :
إن عطش أحد ، فليقبل إلىَّ و يشرب » (يو٧ : ٣٧) .
وقد دعا المرأة السامرية إلى مائه الحى ، وقال لها « من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا ، فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذي أعطيه ، يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » (يو٤ : ١٤) .

داود النبي يسميه فى مزمور الراعي « ماء الراحة » .
فيقول عن الله الراعى « إلى ماء الراحة يوردنى » أى إلى الماء الحى ، ماء الروح القدس . وما نتيجة هذا ؟ يقول « يرد نفسى ، يهدينى إلى سبل البر » . هذا هو بلا شك عمل الروح فى الإنسان .

يقوده فى الحياة الروحية وفى التوبة ... و يعطيه الفرح ...
الفرح بالخلاص ، أو كما يسميها المرتل « بهجة خلاصك » (مز٥٠) .
و يقول المزمور « مجارى الأنهار تفرح مدينة الله » (مز٤٥) .
إنه الفرح الروحى ، أحد ثمار الروح القدس (غل٥ : ٢٢) .

هذه المياه التى تفرِّح مدينة الله تذكرنا بحقيقة أخرى عن الماء ،

نتذكرها ونحن نتقدم للقداس الإلهى للتناول ، بعد غسل أرجلنا بالماء .
هذه الحقيقة تعبر عنها كلمتان هما :

الماء والدم :

عندما طعن السيد المسيح بالحربة ، خرج من جنبه دم وماء (يو٩ : ٣٤) . وقد شهد القديس يوحنا الحبيب بهذه الحقيقة فى رسالته الأولى (٤ : ٦) وقال أيضاً « والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة : الروح والماء والدم . والثلاثة هم فى الواحد » (١يو٤ : ٨) .
ما أعجب هذه الآية فى موضوع خلاصنا . فما سرّها ومعناها ؟

معناها أن الخلاص الذى قدمه المسيح بالدم ، على الصليب ، تناله أنت بالماء والروح فى المعمودية ..

و يشهد لخلاصك هؤلاء الثلاثة : الروح والماء والدم .
بدون الدم لا حياة ، لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب٩ : ٢٢) . ولكن كيف تنال هذا الخلاص المقدم لك بالدم ؟ يقول السيد المسيح « من آمن واعتمد خلص » (مر١٦ : ١٦) . وفى المعمودية يولد من الماء والروح (يو٣ : ٥) ، و ينال مغفرة الخطايا (أع ٢ : ٣٨) .

والماء والدم ، نراهما أيضاً فى سر الإفخارستيا ...

حيث أن الكاهن فى صلاة القداس الإلهى يمزج الخمر بالماء . و يقول فى صلوات القداس « وكذا الكأس بعد العشاء ، مزجها من خمر

ومـاء ... » . وبهـذا الدم الذى نتناوله ممزوجا بالماء ، ننال الحياة . ونرى فى كل منهما علاقة بالحياة ، فى الدم وفى الماء .

ولـكـن قبل تذكارات هذا التناول أود أن أختم بكلمة عن اللقان عن غسل الأرجل...

لماذا غسل الأرجل ؟

الـسيد المسيح غسل أرجل تلاميذه . فلماذا غسل الأرجل بالذات ؟ بـالإضـافـة إلى مـا يمـكن أن نقوله عن الإتضاع فى غسل الأرجل ، أود أن أذكـر تـأمـلاً للـقـديـس أوغـسـطـينوس حول قول العروس فى سفر النشيد (نش ٥ : ٣) .

خلعت ثوبى ، فكيف ألبسه ؟ غسلت رجلىَّ فكيف أوسخهما ؟

قال إن الإنسان قد اغتسل بالمعمودية وتطهَّر وارتفع عن الماديات ، غير أنـه طالما يحيا فى الأرض ، فإنه يعود و يتصل بالمادة ، بهذا التراب ، فتتسخ قدماه بهذا التراب الذى تطؤه قدماه .

لـذلـك فـإن عذراء النشيد حينما دعاها الرب لخدمته ، خافت من هذه الإحـتـكاكات التى قد توجد فى مجال الخدمة ، والتى قد تشين الطهارة التى نـالتـهـا فى المـعـمـوديـة و إذ خـلـعـت هذا الثوب الذى هو الإنسان العتيق ، فـكـيـف تـعـود إلى مـشاكله . وقد غـسلت قدميها اللتين داستا التراب من قبل ، فكيف تعود بهما إليه ؟!

السيد المسيح يطمئن النفس ، التى تدخل فى مشاكل الناس لكى تجذبهم إليه ، فيقول لها : حتى إن اتسخت قدماك ، سأعود أنا وأغسلهما كما غسلت أرجل التلاميذ وقلت لهم : ها أنتم طاهرون .

ملاحظة أخرى نقولها فى غسل الأرجل :

إن غسل الأرجل ، تنوب عن غسل الإنسان كله .

والقديس بطرس الرسول لما طلب أن يغتسل كله ، قال له الرب « الذى قد اغتسل ، ليست له حاجة إلا إلى غسل رجليه ، بل هو طاهر كله » (يو١٣ : ١٠) .

والكاهن حينما يغسل يديه قبل القداس ، و يقول « أغسل يدى بالنقاوة ، وأطوف بمذبحك يارب » ، ليس هو فى حاجة إلى غسل جسده كله . إنما عضو فى الجسد ينوب عن الباقى .

كما نرشم عضواً واحداً فى الجسد ، فيعتبر الإنسان كله قد نال هذا الرشم ...

وغسيل الأرجل فى لقان الخميس الكبير ، يرمز إلى النقاوة التى يجب أن تسبق التناول . فاهتموا بهذا الأمر .

و يعجبنى فى هذا المجال عبارة قالها صموئيل النبى ، حينما ذهب إلى بيت لحم . ودعا إلى الذبيحة بقوله :

تقدسوا ، وتعالوا معى إلى الذبيحة (١ صم ١٦ : ٥) .

لأنه لا يليق أن يذهب أحد إلى الذبيحة وهو غير تائب ، إنما يتقدس

أولاً ، يتطهَّر بالتوبة ، ثم يتقدم إلى التناول .

والكنيسة تغسل أولاً أرجل الشعب ، وتقول لهم « أنتم الآن طاهرون » ثم تقدمهم للتناول .

ولكن ليس معنى هذا أن تأتى إلى الكنيسة يوم خميس العهد ، وتتقدم لغسل رجليك وأنت غير تائب . وإلا تسمع تلك العبارة المخيفة :

أنت (الآن) طاهرون ولكن ليس كلكم » (يو١٣ : ١٠) .

« ليس كلكم » ؟! لا يارب ، نريد أن نكون كلنا طاهرين .

إنضح علينا بزوفاك فنطهر . واغسلنا فنبيّض أكثر من الثلج .

نعم ، هذا هو هدف اللقان . الطهارة قبل التناول .

« تقدسوا ، وتعالوا معى إلى الذبيحة » .

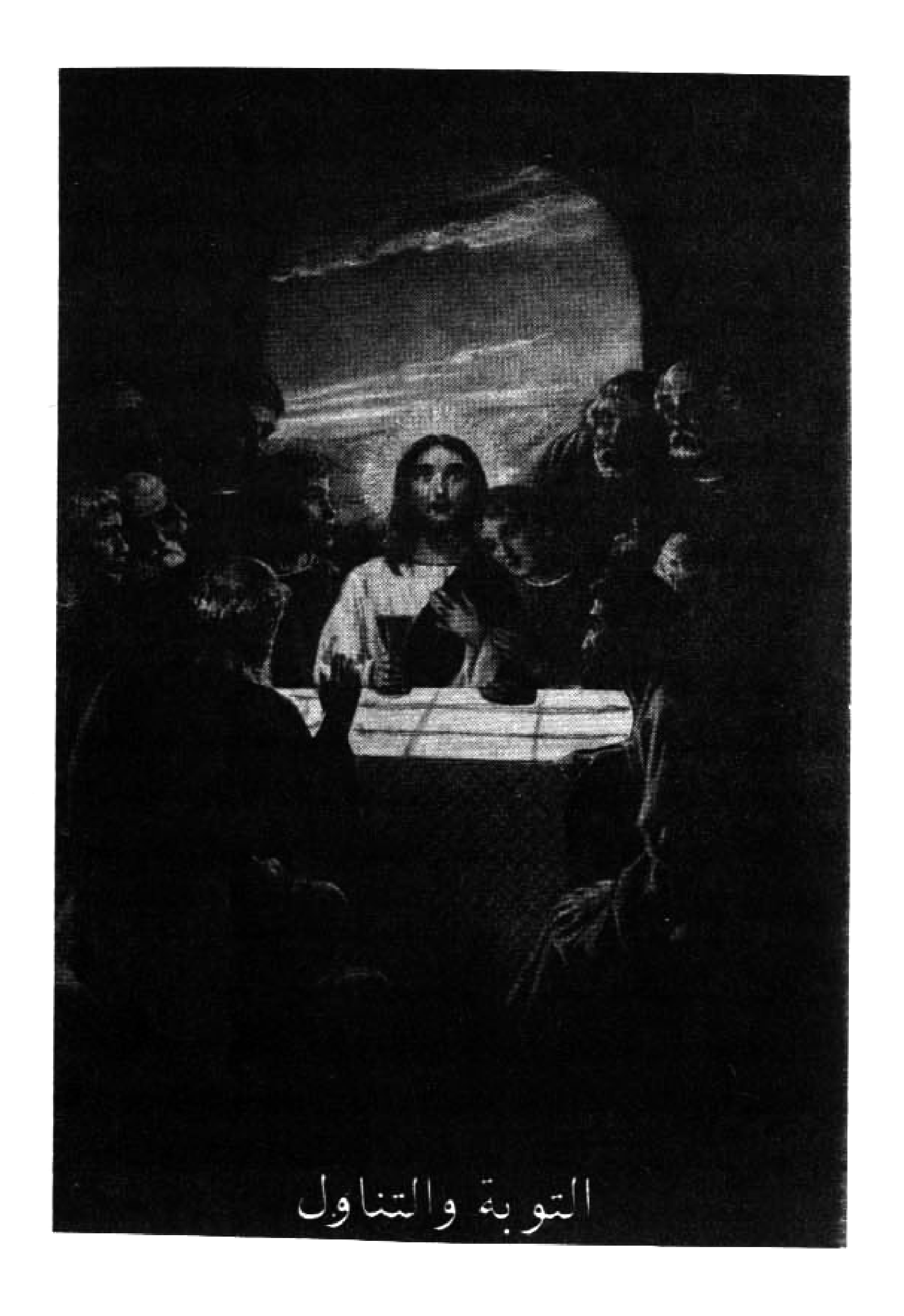
أرجو لكم تناولاً مقدساً ، باستحقاق ، من السرائر المقدسة فى هذا اليوم العظيم ، وأن تكونوا كلكم طاهرين .

إن الطهارة التى يحملها رمز الماء ، توجد فى الكنيسة فى كل قداس ، وليس فى قداس اللقان فقط .

وبعد كل قداس ، قبل أن يصرف الكاهن الشعب ، يرشهم بماء مقدس ، فنتذكر قول الرب فى سفر حزقيال النبى :

« وأرش عليكم ماء طاهراً ، فتطهرون » (حز ٣٦ : ٢٥) .





التوبة والتناول

نشكر الله ، لأننا ونحن خارج المحلة حاملين عاره ، فتح لنا الرب طريقاً إلى قدس الأقداس ، إذ فتح لنا هيكله المقدس ، وأدخلنا إلى حيث مذبحه الطاهر ، وأعطانا جسده ودمه الأقدسين .

إنها بركة عظيمة أن يفكر فينا السيد الرب فى أسبوع آلامه ، ويهتم بنا هكذا ، بعد أن منحنا الطهارة اللازمة ، فى غسله لأرجلنا ...

وهكذا فى يوم الاحتفال بالفصح القديم ، بكل ما يحمل من رموز ، قدم لنا الفصح الذى للعهد الجديد ...

الفصح الذى قال عنه القديس بولس « لأن فصحنا أيضاً ، المسيح ، قد ذبح لأجلنا ... » (١ كو٥ : ٧) .

وهكذا إجتمع فصحان ، فى يوم واحد ، وعلى مائدة واحدة . الرمز ، والمرموز إليه معاً . وأعطى السيد المسيح هذا السر العظيم لتلاميذه القديسين ، وقال لهم « اصنعوا هذا لذكرى » (لو٢٢ : ١٩) . وها نحن نصنع هذا اليوم ، حسب وصيته المقدسة .

احتفل المسيح مع تلاميذه بالعيد ، وهو فى عمق آلامه .

فرح معهم بالعيد ، وعيّد معهم ، وقال لهم « شهوة أشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم ، قبل أن أتألم » (لو٢٢ : ١٥) .

وسبّح معهم فى تلك الليلة ، قبل أن يخرجوا إلى جبل الزيتون (مر١٤ : ٢٦) (مت٢٦ : ٣٠) . نعم احتفل معهم بالعيد ، وفرح معهم « وهو عالم بكل ما يأتى عليه » (يو١٨ : ٤) .

حقاً ما أنبل القلب المتألم ، الذى يغنى مع القلوب الفرحة .

وفى فرحة عيد الفصح ، حدثهم عن جسده الذى يبذل عنهم ، ودمه الذى يسفك عنهم (لو٢٢: ١٩، ٢٠) .

وبهذا أعطى للتلاميذ عيداً جديداً ، وعهداً جديداً .

وأعطاهم فكرة أن جسده سيبذل ، ودمه سيسفك ، عنهم و كثير ين لمغفرة الخطايا (مت٢٦: ٢٨) (مر١٤: ٢٤) . وقال إن هذ هو الدم الذى للعهد الجديد ...

لم يتركهم يفاجأون بهذا الأمر ، أن يروا دمه يسفك أمامهم ، إنما قال لهم قبل أن يكون ، حتى إذا كان يؤمنون (يو١٣: ١٩) .

عجيب أن يتكلم أحد عن سفك دمه ، بهذا الهدوء ...

وأن يتكلم عن سفك دمه بطر يقة موضوعية هكذا ، وسط مظاهر الفرح والتسبيح ، وهو يحتفل مع تلاميذه بالعيد ...

ولكنه المسيح المحب الحنون ، الذى يفكر فى خلاص البشر ية ، وليس فى ذاته هو أو فى آلامه .

نلاحظ هنا أنه قال دمى الذى يُسفك وليس الذس سُفك .

وكذلك قال جسدى الذى يُبذل وليس الذى بُذل ... ذلك لأن دمه قد سفك يوم الجمعة ، وجسده قد بذل يوم الجمعة ، اليوم الذى تم فيه الخلاص ...

إن حديثه يوم الخميس ، كان عن الخلاص الذى سيتم يوم الجمعة .

والفصح الذى احتفل به يوم الخميس ، كان رمزاً للفصح الحقيق الذى للعهد الجديد الذى يذبح عنا يوم الجمعة . وكأن الرب أراد أن يقول :

إن هذا الفصح الذى تأكلونه اليوم يرمز إلى جسدى الذى يبذل عنكم غداً ، وإلى دمى الذى يسفك عنكم غداً .

هذين اللذين اقدمهما لكم على صورة الخبز والخمر . وعلى هذه الصورة ستصنعون هذا السر لذكرى .

وعبارة « هذا اصنعوه لذكرى » أمر يحمل استمرارية هذا السرّ مدى الدهور « لأنكم كلما أكلتم هذا الخبز ، وشربتم هذه الكأس ، تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء » (١ كو١١ : ٢٦) . وعبارته « إلى أن يجيء » تحمل معنى أن ممارسة هذا السرّ العظيم تستمر حتى مجيئه الثانى ، أى إلى آخر الدهر .

قال إن هذا دمى الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا .

المقصود بالكثيرين أولئك الذين يؤمنون به ، وبفدائه العظيم وفاعلية دمه لمغفرة الخطايا ، وكذلك يؤمنون بأسراره المقدسة ويمارسونها . ويشترط أيضاً فيهم أن يكونوا تائبين ، لأن الرب نفسه قد قال « إن لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو١٣ : ٥) .

التوبة إذن لازمة لتناول المؤمنين ، كشرط هام للاستحقاق .

هذا الاستحقاق للتناول الذى شرحة القديس بولس الرسول ... فقال فى الإصحاح ١١ من رسالته الأولى إلى كورنثوس :

« إذن أي من أكل هذا الخبز ، أو شرب كأس الرب ، بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه ... » .

« لأن الذي يأكل و يشرب بدون استحقاق ، يأكل و يشرب دينونة لنفسه ، غير مميز جسد الرب » .

« من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى ، وكثيرون يرقدون » (١ كو١١ : ٢٧-٣٠) .

إذن الأمر خطير ، وعقوبته خطيرة :

من يتناول بدون استحقاق ، يكون مجرماً في جسد الرب ودمه ، غير مميز جسد الرب ، قد تصل عقوبته إلى ضربات في الجسد كالمرض والموت ... لذلك يقول الرسول :

« ولكن ليمتحن الإنسان نفسه » قبل التناول ...

« لأننا لو حكمنا على أنفسنا ، لما حكم علينا » (١ كو١١ : ٢٨ ، ٣١) .

فماذا تعني كلمة الاستحقاق إذن ؟

إن تحدثنا عن الاستحقاق بمعنى مطلق ، فلن يوجد أحد مستحقاً ... ! فمن جهة هذا الاستحقاق ، كان القديس العظيم الأنبا رويس - وهو صاحب معجزات - يخاف جداً حين التقدم للتناول من السرائر المقدسة . وكان يقول : إن الذي يتقدم للتناول ، ينبغي أن يكون داخله في نقاوة أحشاء العذراء القديسة التي حملت المسيح داخلها ... !

من أجل ذلك يقول الأب الكاهن فى (صلاة الاستعداد) ...
(وهى صلاة يقولها سراً قبل القداس » : أيها الرب العارف قلب كل أحد ... أنت يارب تعرف أنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب لهذه الخدمة المقدسة التى لك . وليس لى وجه أن أقترب وأفتح فاى أمام مجدك المقدس . بل ككثرة رأفاتك ، أغفر لى أنا الخاطيء ، وأمنحنى أن أجد نعمة ورحمة فى هذه الساعة » ...

ومن أجل هذا يليق بكل إنسان ، أن يقول قبل التناول :

يارب ، ليس من أجل استحقاق ، وإنما من أجل احتياجى . ليس من أجل استحقاق ، لكن من أجل علاجى .

معترفين كلنا بأننا غير مستحقين ، وكأننا نقول للرب : ليست لنا الطهارة التى نتقدم بها إلى جسدك ودمك . فنحن لسنا طاهرين حتى نتقدم للتناول ، إنما نحن نتقدم للتناول حتى نكون طاهرين .

نحن نتناول « طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » كما نقول فى بداية الأواشى فى القداس الإلهى ...

إن الطهارة النسبية التى تناسبنا ، لكى نتقدم إلى التناول عملاً بقول النبى « تقدسوا وتعالوا معى إلى الذبيحة » (١صم١٦ : ٥) ، تتركز فى أمور هامة منها :

الإيمان ، والتوبة ، والصلح مع الآخرين ، والطهارة الجسدية .

أما عن الإيمان ، فالمقصود به الإيمان المسيحى السليم ، بلا بدعة ولا

مرطقة . وكذلك الإيمان بهذا السر وفاعليته ، و بالشروط التى وضعها الله لإتمامه ، وحفظت بالتسليم الرسولى .

أما عن التوبة ، فالمقصود بها على الأقل ترك الخطية والعزم الحقيق على عدم الرجوع ، مع الإعتراف بالخطية والندم عليها .

وقد يتشكك البعض فى موضوع التوبة . ونلاحظ أن البعض يمتنعون عن التناول ، بحجة أنهم مازالوا يخطئون بعد التناول ، إذن فهم لم يتوبوا ! وإذن فهم غير مستحقين ! ولهذا يكون عدم التناول أضمن لهؤلاء . وللرد على هؤلاء نقول :

إن التناول يعطى طهارة ، ولا يعطى عصمة ...

ولا يوجد أحد معصوماً ، مهما كان باراً وقديساً ، ومهما اعترف وتناول . هو لا يزال تحت الضعف إلى آخر يوم فى حياته ، والضعف درجات تتفاوت من إنسان لآخر .

أما إكليل البر ، فإن الديان العادل يهبه للقديسين فى ذلك اليوم (٢تى ٤ : ٨) أى اليوم الأخير . حينئذ لا تكون خطية فيما بعد ...

تناول إذن . وفى كل تناول تأخذ قوة . حتى إن أخطأت ، يكون فى قلبك إستحياء من جهة الخطية ، وندم عليها ، وإدانه لنفسك .

أما حالة الإستهتار فإنها تمنع من التناول . وكذلك حالة اللامبالاه ، وحالة العبودية للخطية ، التى يتناول فيها الإنسان وهو مُصر على الرجوع للخطية . كلها صور تدل على عدم التوبة .

أما عن الصلح مع الآخرين ، فقد أشار إليه الرب بقوله :

إن قدمت قربانك إلى المذبح . وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك هناك قربانك أمام المذبح . واذهب أولاً إصطلح مع أخيك ... » (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) .

إذن الصلح مع الناس لازم للتناول . لأنك لا يمكن أن تتقدم إلى « ذبيحة الحب » وأنت خال من الحب . ولعلنا نذكر فى هذا المجال أننا نصلى صلاة الصلح قبل البدء فى قداس القديسين . ونقول فى تلك الصلاة « إجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا ، أن نقبّل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة ، لكى ننال بغير انطراح فى دينونة من موهبتك غير المائتة السمائية » .

إذن عدم المصالحة يطرح فى دينونة ، إذا تناول الإنسان .

فما معنى المصالحة ؟ وهل يلزم الصلح مع جميع الناس .

المصالحة على الأقل تعنى أن القلب خال من الخصام والكراهية . فإن أمكن المصالحة بالفعل ، وإرجاع علاقات المودة يكون هذا هو الوضع السليم والواجب . ولكننا فى كل هذا ، نتذكر قول الرسول :

« إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس » (رو١٢ : ١٨) .

ذلك لأن هناك أنواعاً من الناس لا يمكن مسالمتهم . فالسيد المسيح لم يسالمه الكتبة والفريسيون والصدوقيون والكهنة والناموسيون ورؤساء الشعب ، أوغالبية هؤلاء . ولم يسالمه أولئك الذين أسلموه حسداً . وما

كان المطلوب منه أن يذهب أولاً و يصطلح مع هؤلاء لتكون صلته صافية مع الآب .

و بولس الرسول ما كان ممكناً أن يترك قربانه قدام المذبح ، و يذهب أولاً فيصطلح مع إسكندر الحداد الذى فعل به شروراً كثيرة ، وقاوم كلمة الله جداً (٢تى ٤ : ١٤ ، ١٥) .

لذلك قال الرسول فى المصالحة ومسالمة الآخرين « إن كان ممكناً » وقال « حسب طاقتكم » . ذلك لأن هناك حالات غير ممكنة ...

لا يحسب عليك إن كان عدم المصالحة راجعاً إلى الآخرين ، وليس إليك أنت . أو إن كان ذلك للفائدة الروحية ...

فقد تحاول أن تعيش فى سلام مع البعض ، ولا تستطيع ، بسببهم ، وليس بسببك أنت . مثال ذلك الذين يحسدونك على تفوق فيك أو مواهب أعطاها الله لك ، أو لشرٍّ فى قلوبهم ، كما حدث أن قايين حسد هابيل ، ورؤساء اليهود حسدوا المسيح . وقد قال المرتل فى المزمور « أكثر من شعر رأسى ، الذين يبغضوننى بلا سبب » (مز٦٩ : ٤) . فالذين يبغضونك بلا سبب ، إن لم تستطع مصالحتهم فأنت معذور ، ولا يمنعك هذا من التناول . وكذلك الذين يضطهدونك (يو١٦ : ٢) .

كذلك هناك أناس تبتعد عنهم ، خوف العثرة ، حرصاً على روحياتك .

كأولئك الذين ذكرهم المزمور الأول « مجالس المستهزئين ، وطرق الخطاة » . و« كالمعاشرات الردية التى تفسد الأخلاق الجيدة » . لا يلزمك أن تترك قربانك ، وتذهب لتصطلح مع هؤلاء ...

أما عن ترك قربانك قدام المذبح ، وذهابك أولاً للصلح :

فهذا لازم فى حالة من تكون قد أخطأت أنت إليه .

ولذلك يقول الرب « إن تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك » ، هو له شىء عليك ، أى أنك أنت قد أخطأت إليه . هذا ينبغى أن تذهب وتصالحه وتطيب قلبه من جهتك قبل التناول ، وتنفذ ما ورد فى وصية الرب . وحتى إن كان قد أخطأ هو إليك ، فاذهب وعاتبه (مت ١٨ : ١٥) لإرجاع المحبة بينكما .

وعلى أية الحالات ، أنت هنا واحد من اثنين : إما إنك أنت المعتدِى ، أو معتدَى عليك .

إن كنت معتدياً ، أترك قربانك ، وصالح أخاك ، وأصلح خطأك .

وإن كنت معتدياً عليك ، عاتب لتصالح ، أو على الأقل إغفر لأن هناك أصنافاً من الناس لا ينفع العتاب معهم ، وقد يأتى بنتائج عكسية ، أو إنهم فى موقف لا يمكنك فيه الذهاب إليهم لكى تعاتبهم . هؤلاء على الأقل إغفر لهم ، ولا تستبق فى قلبك حقداً عليهم أو عداوة لهم ...

وتذكروا قول الكتاب « إغفروا يُغفر لكم » (لو ٦ : ٣٧) .

هناك طلبة واحدة فى الصلاة الربانية ، لم يتركها الرب تمر بدون شرح ، وهى « إغفر لنا كما نغفر نحن أيضاً » فقال « فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (مت ٦ : ١٤ ، ١٥) .

هذا من جهة المصالحة ، أما من جهة الإستعداد الجسدى ...

فيلزم أولاً الإستعداد بالصوم ، ولا يعفى من ذلك إلا المرضى ومن فى حكمهم ، الذين لهم حالة خاصة لا يمكن معها الصوم .

والكنيسة تفترض أن يكون الإنسان صائماً قبل التناول مدة لا تقل عن تسع ساعات ، بحيث لا يأكل شيئاً بعد منتصف الليل . وإن حدث استثناء ما فى هذه القاعدة ، لسبب ملزم ، يكون ذلك عن طريق أب الإعتراف ، أو بسماح من رئاسة الكهنوت ...

أما عن الطهارة الجسدية ، فيلزم الإمتناع عن المعاشرات الجسدية ، والبعد عن سيل الجسد . وهكذا يكون الإنسان طاهراً بالجسد ، كما يكون طاهراً بالروح . والوصايا كثيرة فى الكتاب بخصوص هذا الموضوع ، ليس مجالها الآن .

ولا نريد أن يمتنع أحد عن التناول بحجة عدم الإستعداد أو عدم الإستحقاق ، إلا لو كان ذلك رغماً عنه .

فلنحاول أن نستعد بالتوبة . والتوبة فى أيدينا . التوبة عمل يحدث داخل القلب ، فهو بإمكاننا إذن وليس خارجاً عنا . تستطيع الآن أن

تستجيب لصوت الله داخلك ، ولا تقسِ قلبك ، وترجع إلى الله ، مستفيداً من كل التأثيرات الروحية التى تقدمها لنا روحيات أسبوع الآلام . الأمر فى يديك ، والكتاب يقول :

« إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣ : ١٥) .

فليراجع كل إنسان نفسه ، و يرجع إلى الله ، و يشترك فى بهجة هذا اليوم المقدس ، الذى تعتبره الكنيسة عيداً ، لكى يتناول فى قداس الخميس الكبير أو خميس العهد ، الذى أخذت كل قداسات السنة أصلها الأول منه .

و بكل نقاوة ممكنة ، فلنحاول أن نتقدم للتناول ...
لأنه ليس الجميع يستفيدون فائدة واحدة من التناول ...
إنما حسب إستعداد القلب من الداخل ، هكذا تكون الفائدة .

إن الرسل كلهم ، الذين تناولوا يوم الخميس الكبير ، لم يخرجوا جميعهم بفائدة روحية واحدة . فأكثرهم حباً للرب ، أعنى القديس يوحنا الحبيب ، هو الوحيد الذى بعد التناول استطاع أن يتبع المسيح حتى الصليب ، و يسمع كلمة منه ، و يأخذ بركة ...

و بطرس المتحمس ، المندفع فى حبه ، تبع المسيح جزءاً من الطر يق ، ولكنه لم يكمل ، ثم أنكر الرب وندم ... مع أن القديس بطرس كان قد تناول من الرب كما تناول يوحنا تماماً ...

أما باقى التلاميذ ، فإنهم تناولوا أيضاً فى نفس الوقت ، ولكنهم هر بوا

ساعة القبض على الرب ، ولم يسيروا معه ولا مرحلة من الطريق ، إنما استسلموا لضعفهم .

يذكّرنا هذا بالبذار التي وقعت على أرض جيدة ...

وأعطت كلها ثمراً . البذار واحدة ، والزارع واحد . ولكن البعض في إثماره أعطى ثلاثين ، والبعض ستين والبعض مائة .

ليتكم تجهزون قلوبكم ، لكي تعطي هي أيضاً مائة ...

وتذكروا باستمرار البركات العظيمة الناتجة عن التناول .

سواء التي وردت منها في الكتاب المقدس ، أو التي وردت في صلوات القداس الإلهي . فهوذا الرب يقول في الإنجيل :

« أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ... من يأكل جسدي و يشرب دمي ، فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير... من يأكل جسدي و يشرب دمي ، يثبت فيَّ وأنا فيه » (يو٦ : ٥ ، ٥٤، ٥٦) .

وفي القداس الإلهي « يُعطَى عنا خلاصاً ، وغفراناً للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه » ، ونقول أيضاً « نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » .

لماذا إذن نقصّر في التقدم إلى هذه الطهارة ، وهذا الخلاص والغفران ، والثبات في الرب ، والحياة الأبدية .

السيد المسيح ، وهو ذاهب إلى الآلام ، منح الكنيسة نعمة التناول ، وما ينتج عن التناول من بركات عديدة

وفى نفس الوقت أقام بهذا السر عهداً بيننا وبينه .

نعم ، لقد دخلنا بالتناول فى عهد مع الرب ، أنه كلما أكلنا وشربنا من هذه السرائر المقدسة ، أن نبشر بموته ، ونعترف بقيامته ، وأن نذكره إلى أن يجىء .

نبشر بموته ، أى بموته عنا ، هذا الموت الذى نلنا به الخلاص والفداء ، وأصبحنا مقدسين بدمه ، وقد طهرنا هذا الدم من كل خطية (١يو١ : ٧) لأنه قال : خذوا اشربوا هذا هو دمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مر١٤ : ٢٦) . وفى هذه الآية وضح الرب أمرين :

١ ـ أن دمه هو لعهد جديد ، لذلك نقول (خميس العهد) .

٢ ـ أنه لمغفرة الخطايا ، أى للخلاص .

إنه حقاً أمر مفرح ، يليق بنا أن نبشر به ، أى نعلن لكل أحد عن هذا الخلاص الذى نلناه .

فهل نحن حقاً أمناء على هذا العهد ...

هل نعتبر كل يوم نتناول فيه يوم عيد ، قائلين : هذا هو اليوم الذى صنعه الرب ، فلنفرح ولنبتهج فيه ، كما نعتبر يوم الخميس الكبير هذا عيداً ...

وهل ندرك تماماً ، كيف طهرنا الرب بهذا الدم الذى يسفك مُنثرة الخطايا ، وصيرنا به قديسين ، كما فى القداس :

القدسات للقديسين ...

لعل عبارة « القديسين » هذه ، تبكتنا من الداخل ، من جهة عدم إستحقاقنا ، وأيضاً تدفعنا إلى قدام لكى نسلك كما يليق بأناس قد قدسهم الرب بدمه وطهرهم من كل خطية ...

إذن ما أجمل أن نبشر بموته ، الذى وهبنا كل هذا .

عبارة أخرى دخلنا فيها فى عهد مع الرب هى :

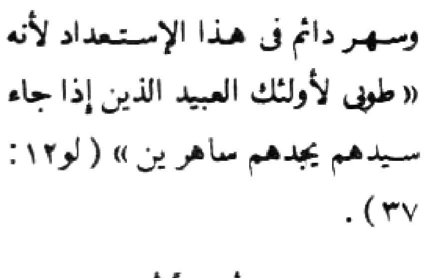
أن نذكر الرب ، إلى أن يجئ ...

ما معنى كلمة نذكره ؟ هل معناها أن يكون الرب فى أذهاننا باستمرار ، كما يقول المرتل « جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع » أم معناها قول المرتل « محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى » أم معناها أن نذكر الرب فى كل ما فعله من أجلنا : فى إخلائه ذاته ، وتجسده ، وتعليمه ، ومحبته ، وآلامه ، وصلبه ، وقيامته ، وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب ... بكل ما تحمل هذه الذكريات من معان ومن روحيات .

أم المقصود أن نذكر كل هذا معاً ، ونظل نذكره إلى أن يجئ .

وفى عبارة « إلى أن يجئ » إيمان بالمجئ الثانى للرب .

بما يحمل هذا الإيمان من إنتظار لمجئ الرب ، واستعداد لهذا المجئ ،

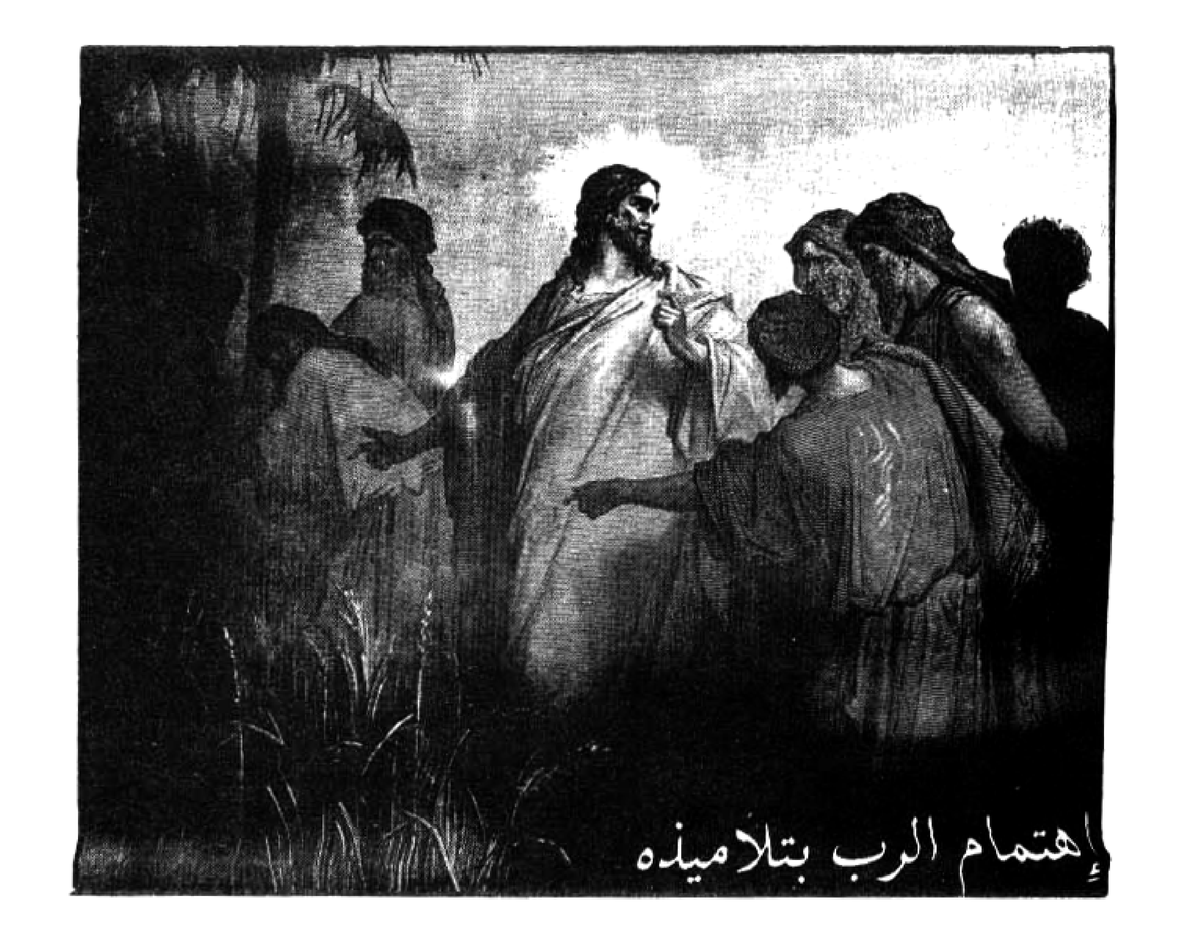


وسهر دائم فى هذا الإستعداد لأنه «طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين» (لو١٢: ٣٧) .

ولا ننس أيضاً أن التناول هو شركة للمؤمنين ... يجمعهم كلهم بإيمان واحد ، حول مائدة واحدة ، وكهنوت واحد .

فليعطنا الرب بركة هذا اليوم ، وبركة هذا السر العظيم الذى لخلاصنا .

آمين



إهتمام الرب بتلاميذه

أهم ما تميزت به علاقة السيد المسيح ربنا بتلاميذه ، هو تلك المحبة الكبيرة جداً ، التي بها نزل من السماء وأخلى ذاته ...

ولكن محبة السيد الرب ، ظهرت في أعمق صورة لها ، في الأسبوع الأخير، أسبوع الآلام ...

تكفي هذه العبارة التي يقول فيها الإنجيل المقدس :

« إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو١٣ : ١).

عبارة « حتى المنتهى » هذه ، يغوص فيها المتأمل ما شاء ، ولا يمكن أن يدرك أعماقها ...

كان الرب يعرف أن حادثة الصلب هذه ، يمكن أن تتعب تلاميذه ، إذ يجدون معلمهم العظيم ، المبهر في معجزاته ، محتقراً و يسمر بالمسامير... وأخيراً يموت وسط ضروب الاستهزاء ...

لذلك نرى الرب ، خلال هذا الأسبوع ، وقد أهتم جداً ...
كيف يعد تلاميذه - نفسياً وروحياً - لمواجهة موضوع صلبه .

كان هذا الموضوع يشغله جداً . فلم تشغله ذاته هو: لا عملية القبض عليه ... ولا محاكمته وما فيها من شهود زور ومن تهم ملفقة ، ولا الاهانات الكثيرة التي تصيبه من ضرب ولطم وشتائم ، مع عبارات التحدى والإستفزاز... ولا نقله من مكان لآخر ليواجه حنان وقيافا ، و بيلاطس

وهيرودس ... ولم يشغله ما سيتحمله من آلام وعذابات فى الشوك والجلد والمسامير والصليب

إنما كان عمق قلبه فى غيره . وكان إنشغاله بأمرين :

كيف يخلص العالم ، وكيف يحفظ تلاميذه فى هذه التجربة .

كان يريد أن يحفظهم فى تلك الساعات الرهيبة ـ عليهم لا عليه ـ حـ لا تهتز الكنيسة كلها إن اهتز إيمانهم به .

كان يريد أن يثبت إيمان هؤلاء التلاميذ ، سواء فى أحداث ما قبل الصلب ، وأثنائه ، وبعد الصلب .

معروف أنه بعد الصلب والقيامة ، ظهر لهم لتثبيتهم .

ظهر لمريم المجدلية ، ولبطرس ، ولتلميذى عمواس ، وللنسوة القديسات ، وللاحد عشر ، وظهر لأكثر من خمسمائة أخ ، كما ظهر فيما بعد لشاول الطرسوسى . وقضى مع تلاميذه أربعين يوماً بعد القيامة ، يثبتهم ويحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله ...

كل هذا بعد القيامة . ولكن قبل الصلب كيف ثبتهم ؟

١ ـ قبل الصلب بستة أيام ، أقام لعازر من الموت (يو ١١) .

وذلك بعد أربعة أيام من موت لعازر ، بعد أن قيل عنه إنه أنتن . وكان لهذه المعجزة العظيمة دوى كبير ، فآمن به كثيرون وأعطى بها لتلاميذه فكرة عملية عن القيامة من الموت ، حتى بعد فقد كل أمل ... إنها معجزة تسند إيمانهم ، من جهة قدرته ، ومن جهة قيامته إن رأوه يموت ...

٢ ـ وقبل إقامة لعازر ، وهب البصر للمولود أعمى (يو ٩) .

وهى معجزة واضحة تدل على لاهوته ، إذ فيها القدرة على الخلق ، وقد خلق عينين من طين . وأحدثت هذه المعجزة أيضاً دو ياً ، حتى أن ذلك الأعمى نفسه قال بعد إبصاره « منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى » (يو٩ : ٣٢) . وإنتهت المعجزة بأن هذا الأعمى آمن أن السيد المسيح هو إبن الله وسجد له (يو٩ : ٣٨) .

أراد السيد بهاتين المعجزتين ، أن يسند إيمان التلاميذ أيضاً .

فبالاضافة إلى عمل المحبة من جهة المولود أعمى ، ومن جهة لعازر وأسرته ، كانت لهاتين المعجزتين نتائج أخرى : بعضها فى نفس الوقت إذ آمن كثيرون . و بعضها ظل مختزناً إلى وقت الصلب ، لتقو ية إيمان من يضعفون ...

وماذا أيضاً ؟ ماذا فعله أيضاً لتقو ية إيمان تلاميذه ؟

٣ ـ أظهر لهم سلطانه أثناء تطهيره الهيكل .

وذلك فى يوم أحد الشعانين ، اليوم التالى لمعجزة إقامته لعازر من الموت . دخل أورشليم كملك ، والشعب كله يهتف له ، و يستقبله بأغصان الز يتون وسعف النخل .

وفى تلك المناسبة قام بتطهير الهيكل فى قوة وسلطان ، وهو يقول عنه « بيت أبى » ، و يوبخ الكهنة ورؤساءهم بقوله « جعلتموه مغارة لصوص » ... ولم يستطع أحد أن يقاومه ... كان أقوى من كل مقاومة .

كان سيد الموقف . وكل عبارة سمعها رد عليها بقوة وبحجة لا تحتمل الجدل .

وكل هذا رفع معنويات التلاميذ . وماذا أيضاً ؟

٤ ـ بنفس القوة وبخ جميع القيادات اليهودية .

وبخ الكهنة بمثل الكرامين الأردياء . وقال لهم « ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تصنع ثماره » (مت ٢١ : ٤٣) .

وأبكم الصدوقيين فى موضوع قيامة الأموات (مت ٢٢ : ٣٤) . وكذلك الناموسيين أيضاً . ووبخ الكتبة والفريسيين فى عنف ، قائلاً « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون » (مت ٢٣) .

وكان أقوى من الكل ، حتى قال عنه متى البشير : « فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة » (مت ٢٢ : ٤٦) .

وكل ذلك كان يقوى معنويات التلاميذ ، ويشعرهم بقوة معلمهم ، ويعدهم للتجربة المقبلة ... وماذا أيضاً ؟

٥ ـ لعن شجرة التين غير المثمرة ، فيبست فى الحال .

وكانت هذه الشجرة ، ترمز إلى الرياء ، لوجود مظهر حياة ، ورق أخضر ، ولكن لا ثمر . وبلعنتها لعن الرياء . ودل الرب بهذا على لاهوته وسلطانه على الطبيعة . فبكلمة منه يبست الشجرة ...

« فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة فى الحال » (مت ٢١ : ٢٠) . فأعطاهم الرب درساً فى الإيمان ، وقال لهم

« الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ، ولا تشكون ، فلا تفعلون أمر التينة فقط ، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل إنتقل وإنطرح فى البحر ، فيكون » ...

« إن كان لكم إيمان ولا تشكون » عبارة ليتها تثبت معهم وقت صلب معلمهم وموته ودفنه ... وماذا أيضاً ؟

٦ ـ غسل الرب أرجلهم ، رمزاً للنقاوة .

و بعد أن غسل أرجلهم ، قال لهم : أنتم الآن طاهرون ... (يو١٣ : ١٠) ، لعلهم بهذه الطهارة يثبتون ، بالقوة التى أخذوها من غسل الرب لأرجلهم ... ماذا أيضاً ؟

٧ ـ أعطاهم أيضاً سر الإفخارستيا ...

منحهم جسده ودمه الأقدسين ، لكى يمنحهم قوة روحية بهذا السر العظيم ، إذ سبق أن قال لهم « من يأكل جسدى و يشرب دمى ، يثبت فىَّ وأنا فيه » (يو٦ : ٥٦) . إذن فقد كان هذا سراً للثبات فى الرب ، ينفع التلاميذ فى ساعة التجربة . إذ كان الرب يطعم طبيعتهم الضعيفة ، بطبيعة أقوى وأسمى منها ...

وفى نفس الوقت كان يمهد أفكارهم لقبول الخبر « هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم ... و... دمى الذى يسفك عنكم » (لو٢٢ : ١٩ ، ٢٠) « الذى يسفك من أجل كثيرين » (مر١٤ : ٢٤) « الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت٢٦ : ٢٨) .

عبارة « سفك دمه » هذه ، كانت تمهيداً ، حتى لا يفاجأوا بما حدث فى نفس الليلة وفى ثانى يوم .

٨ ـ وهكذا كاشفهم بالحقيقة حتى لا يفاجأوا ...

قال لهم أكثر من مرة « أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ، و يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، و يقتل ، وفى اليوم الثالث يقوم » (مت ١٦ : ٢١) وأيضاً قال لهم « ها نحن صاعدون إلى أورشليم ، وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة ، فيحكمون عليه بالموت ، و يسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه و يصلبوه . وفى اليوم الثالث يقوم » (مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩) .

وهكذا كان يربط فى حديثه الصلب والقيامة ، لتعزيتهم ...

وقبل الفصح بيومين ، كرر عليهم نفس الخبر فقال « تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح ، وابن الإنسان يُسلم ليُصلب » (مت ٢٦ : ٢) . وفيما هم يتناولون الفصح معه ، قال لهم « واحد منكم سيسلمني » .

٩ ـ وبعد الفصح والعشاء الربانى ، جلس معهم جلسة طويلة .

هذه الجلسة سجلها القديس يوحنا فى أربعة أصحاحات من إنجيله (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) ، كلمهم فيها بصراحة كاملة ، وعزاهم بكلام كثير ، فيه حديث عن القيامة ، وعن الروح القدس وعمله فيهم ، وفيه نصائح لهم . ونرجو أن نعرض لهذا الحديث بالتفصيل .

١٠ ـ وظل إهتمامه بهم ، حتى أثناء القبض عليه .

فعندما جاء الجند ليقبضوا عليه ، قال لهم « إنى أنا هو . فإن كنتم تطلبوننى ، دعوا هؤلاء يذهبون... ليتم القول الذى قاله « إن الذين

أعطيتنى ، لم أهلك منهم أحداً » (يو١٨ : ٨، ٩) .

وهكذا كان مشفقاً على تلاميذه ساعة القبض عليه ، مهتماً بهم أكثر من اهتمامه بنفسه . يهمه أن يكونوا طلقاء ، وأن يفلتوا من الجند . أما هو فليسلم نفسه و.يقبض عليه ...

١١ ـ حتى وهو على الصليب أيضاً .

إهتم بخاصته كذلك ، وهو فى عمق آلامه ...

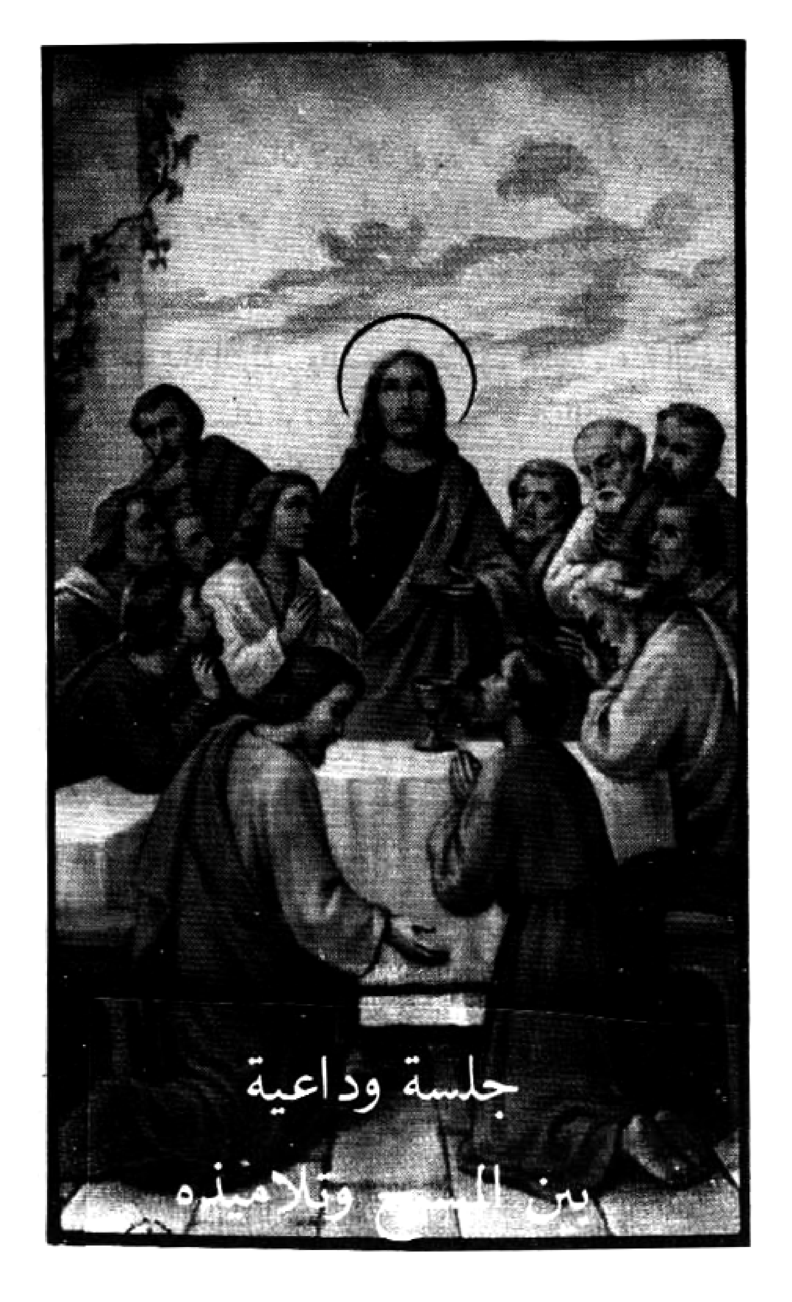
فلم يترك أمه العذراء وحيدة ، إنما عهد بها إلى تلميذه الحبيب يوحنا . « ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته » (يو١٩ : ٢٧) . وكان فى ذلك بركة لهذا التلميذ ، إذ اهتم به الرب ، ووهبه أماً روحية ، هى أقدس أم وأحن أم ، فى هذا العالم كله ...

ومن إهتمام المسيح بتلاميذه حديثه الوداعى لهم .

١٢ ـ وأيضاً صلاته الطويلة من أجلهم .

فلنتناول هذين الموضوعين بتفصيل أكثر...




جلسة وداعية
بين المسيح وتلاميذه

فى الحقيقة إن الإنسان لابد أن يتردد كثيراً قبل أن يتكلم عن جلسة وداعية بين المسيح وتلاميذه . فنسأل أولاً :

أحقاً ودع المسيح تلاميذه ؟

الوداع معناه الترك . والمسيح لم يتركهم مطلقاً ، هذا الذى قال لهم « حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون فى وسطهم » (مت١٨ : ٢٠) . وهو الذى قال لهم أيضاً قبيل الصعود « ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر» (مت٢٨ : ٢٠) .

ولكنه على أية الحالات كان تركاً بالجسد ، وإلى حين .

ومع ذلك كان الأمر صعباً عليهم . وكان الرب يعرف هذا ، لذلك جلس معهم يخفف عليهم و يعزيهم .

كان يعرف أن هذا الأمر صعب عليهم . و يظهر هذا من قوله لهم « لأنى قلت لكم هذا ، قد ملأ الحزن قلوبكم » (يو١٦ : ٦) . فما هو هذا الأمر الذى قاله لهم فحزنوا ؟ إنه قوله لهم « أما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى » .

كان لابد أن يواجههم الرب بالواقع الذى سيحدث ...
ثم بعد ذلك يعالج تأثير هذا على مشاعرهم .

أما عن هذا الواقع ، فقال لهم « يا أولادى ، أنا معكم زماناً قليلاً

بعد . وكما قلت لليهود : « حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » (يو١٣ : ٢٣)

وكان لابد أن يرد على سؤالهم الذى يقولونه :

« إلى أين تذهب ؟ » (يو١٣ : ٣٦) .

« لسنا نعلم أين تذهب ؟ » (يو١٤ : ٥)

كان لابد أن يجيب المسيح ، وبصراحة . فبماذا أجاب ؟

قال : إنى ذاهب إلى الآب (يو١٦ : ١٦) .

وبعد قليل لا تبصروننى (يو١٦ : ١٧) . وماذا أيضاً ؟

إنكم ستبكون ، والعالم يفرح (يو١٦ : ٢٠)

وكان لابد أن يقول لهم حقيقة أخرى ، بالإضافة إلى ذهابه وهى : إن كانوا قد اضطهدونى ، فسيضطهدونكم » (يو١٥ : ٢٠) .

ولتعزيتهم أعطاهم الرب رجاء فى كل شىء .

فمن جهة ذهابه ، سيرونه مرة أخرى ...

إن عبارة « لا تبصروننى » أو « لا تروننى » هى نصف الحقيقة ، النصف المؤلم . فما هو النصف الآخر المعزى ؟

قال لهم الرب « بعد قليل لا تبصروننى . ثم بعد قليل أيضاً تروننى » (يو١٦ : ١٧) . « بعد قليل لا يرانى العالم . وأما أنتم فتروننى » (يو١٤ : ١٩) . معنى أن العالم لا يراك ، إنك ستموت . فكيف نراك نحن إذن ؟ يجيب المسيح عن هذا الفكر . بقوله « إنى أنا حى » « فى ذلك اليوم

تعلمون إنى أنا فى أبى ، وأبى فىّ » « الذى يحبنى ... أظهر له ذاتى » (يو١٤: ١٩-٢١) .

أعطاهم إذن فكرة عن قيامته ، وإنهم سيرونه .

كان قد قال لهم إن إبن الإنسان سيصلب ، وفى اليوم الثالث يقوم (مت١٦: ٢١) (مت٢٠: ١٨، ١٩) . وهو اليوم يؤكد لهم هذه الحقيقة فى عبارات كلها حب :

« لا أترككم يتامى . إنى آتى إليكم » (يو ١٤ : ١٨) .

نصف الحقيقة « إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح » . فما هو النصف الآخر المضيء إذن ؟ أنه « ستحزنون ، ولكن حزنكم سيتحول إلى فرح ... سأراكم أيضاً ، فتفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يو١٦: ٢٠، ٢٢) .

عجيب هو الرب ، إنه فى وداعة ، يتحدث عن الفرح .

كان يؤلمه جداً حزن تلاميذه بسبب فراقه لهم . إنه يعرف تماماً مقدار محبتهم له . أما عن محبته هو، فيكفى قول الكتاب عنها « إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو١٣: ٢) . وقلب الرب حساس جداً من جهة راحة هؤلاء الذين يحبهم ويحبونه . لذلك يقول لهم هنا : لا أترككم يتامى .

عبارة « يتامى » هنا ، تشعرهم بأنهم أولاده .

وهو فى هذه الجلسة يستخدم أيضاً تعبير « يا أولادى »

« يا أولادى ، أنا معكم زماناً قليلاً بعد » (يو١٣ : ٣٣) .

أنتم أولادى ، وأنا أعلم أنكم تتيتمون من بعدى ، ولكنى لا أترككم يتامى ، ولا أترككم حزانى ، سآتى إليكم . سأراكم فتفرح قلوبكم . لا أترككم مطلقاً للحزن ، فأنا لا أحتمل حزنكم ...

أريد فى هذا الوداع الصعب ، أن أفرح قلوبكم ، وأقول لكم إن حزنكم هو إلى حين ، وحين بسيط ، فبعد قليل سترونني .

أنتم لستم فقط أولادى ، بل أحبائى أيضاً .

« أنتم أحبائى ، إن فعلتم ما أوصيتكم به . لا أعود أسميكم عبيداً ... لكنى قد سميتكم أحباء » (يو١٥ : ١٤، ١٥) . أنا سأضع نفسى عنكم « ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه » (يو١٥ : ١٣) . « كما أحبنى الآب أحببتكم أنا . إثبتوا فى محبتى » (لو١٥ : ٩) .

جميل أن تكون جلسة الوداع ، هى حديث حب كهذا .

ويضيف الرب فى تعزيته لهم تشبيهاً جميلاً ، يشعرهم أنه لا إنفصال بينه وبينهم ، وهو علاقة الكرمة بالأغصان .

فيقول لهم « أنا هو الكرمة ، وأنتم الأغصان » (يو١٥ : ٥) . إننا معاً ، « أنتم فىَّ ، وأنا فيكم » علاقتى بكم ، كعلاقة الرأس بالجسد . لستم غرباء عنى . إثبتوا فىَّ . وأنا فيكم ، كما يثبت الغصن فى الكرمة ، حينئذ لا يكون وداع بينى وبينكم ، لأنه لا يكون فراق أبداً .

ما أجمله تشبيه ، كله حب وعاطفة وعزاء ، فى ساعة كهذه .
مبارك أنت يارب فى كل تعز ياتك الجميلة ...

يضيف أيضاً بأن ذهابه هو للفائدة وللفرح .

فيقول لتلاميذه « لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع . سمعتم أنى قلت لكم إنى ماض ، ثم آتى إليكم . لو كنتم تحبوننى ، لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب » (يو١٤ : ٢٧ ، ٢٨) .

نعم ، لأنه بهذا تنتهى عبارة « أخلى ذاته » (فى ٢ : ٦ ، ٧) . هناك سأرجع إلى ما قبل إخلاء الذات ، وذلك أعظم ... لذلك إن كنتم تحبوننى ، ستفرحون إنى أمضى .

ثم أن ذهابى نافع لكم ، لأعد لكم مكاناً .

« لا تضطرب قلوبكم ... فى بيت أبى منازل كثيرة ... أنا أمضى لأعد لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً ، آتى أيضاً وآخذكم إلىَّ ، حتى حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً » (يو١٤ : ١-٣) . نعم ، سنكون معاً باستمرار .

ولكن وجودنا الدائم معاً ، سيكون هناك وليس هنا .

لا تضطرب قلوبكم ، فهذا أفضل . أما هنا ، فإنى أترك لكم سلامى « سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطيكم » (يو١٤ : ٢٧) إنه سلام من نوع آخر ، سلام روحى ثابت ، ليس كالسلام الذى يعطيه العالم ...

لكن كيف يكون لنا سلام يارب ، وأنت بعيد عنا ؟

هنا الفائدة الثالثة من ذهابي . أرسل لكم الروح القدس :

وقد أفاض الرب فى حديثه عن هذه النقطة بالذات :

فقال لهم إن الروح القدس هذا ، هو الروح المعزى ، الذى سيكون سبب عزاء لهم . وقد كرر عبارة (المعزى) أكثر من مرة . فقال لهم : « لأنه إن لم أنطلق ، لا يأتيكم المعزى . ولكن إن ذهبت أرسله لكم » (يو١٦ : ٧) ، لذلك :

« أقول لكم الحق ، إنه خير لكم أن أنطلق » (يو١٦ : ٧) .

« وأما المعزى الروح القدس الذى يرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ، و يذكركم بكل ما قلته لكم » (يو١٤ : ٢٦) « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً » (يو١٥ : ٢٦) « ومتى جاء ذاك ، روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق » (يو١٦ : ١٣) .

وأضاف الرب فى تعزيته لتلاميذه ، بأن هذا الروح المعزى سيمكث معهم إلى الأبد ، وسيكون فيهم (يو١٤ : ١٦ ، ١٧) .

هذا يذكرنا أيضاً بما قاله لهم قبيل الصعود « ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨)... كان الحديث عن الروح القدس تعزية كبيرة للتلاميذ ...

نلاحظ فى وداع المسيح لتلاميذه إنه كان صريحاً معهم

أراد أن يعزيهم على أساس الحق والواقع ، و يقوى قلوبهم ولكن بدون اخفاء الحقائق ، كما كان صريحاً معهم من جهة أخطائهم ومن جهة

المتاعب التى ستصادفهم ، بعد صلبه .

كان هذا نافعاً لهم من جهة الإيمان ، واتقاء المفاجأة .

قال لهم « أقول لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون » (يو١٣ : ١٩) (يو١٤ : ٢٩) « كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة ، تذكرونى أنى قلته لكم » (يو١٦ : ٤) .

كان صريحاً معهم فى ذكر ما سيصدر عنهم من أخطاء .

قال لهم إن الشيطان مزمع أن يغربلكم ، وإنكم كلكم تشكون فىَّ فى هذه الليلة ، وقال تأتى ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوننى وحدى . وقال لبطرس ستنكرنى ثلاث مرات . وحتى يهوذا قدم له الرب تحذيرات . فقال واحد منكم سيسلمنى ، وحدد ذلك بقوله الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه ، وقال له موبخاً « ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة (يو١٣ : ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧) .

وكان صريحاً معهم فى ذكر المتاعب التى سيتعرضون لها .

فقال لهم « إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم » « إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم » « لأنكم لستم من العالم ... لذلك يبغضكم العالم » (يو١٥ : ١٨-٢٠) بل قال لهم أكثر من هذا « سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله » (يو١٦ : ٢) . حقاً إن الصراحة فى هذه الأمور أفضل . لذلك قال لهم فى هذا المجال « قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا .

إن السيد المسيح واضح فى هذا الأمر منذ البداية ، منذ حديثه عن الباب الضيق وعن حمل الصليب . ولكنه أيضاً يخلط الحديث عن الضيقة بالعزاء ، فيقول لهم « فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو١٦ : ٢٣) . ومادام قوتى معكم ستغلبونه ...

نلاحظ فى هذه الجلسة الوداعية ، إنه أعطاهم وعوداً كثيرة :

بعضها من جهة ظهوره لهم مثل « أنا آتى إليكم» « بعد قليل ترونى » « أعد لكم مكاناً ... آتى وأخذكم إلىّ ... » ... ووعود أخرى من جهة أرساله الروح القدس إليهم ، وعمل هذا الروح فيهم ومكوثه معهم إلى الأبد ... وأيضاً وعود أخرى من جهة طلباتهم ، فقال لهم « كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم » « أطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً » (يو١٦ : ٢٣ ، ٢٤) « مهما سألتم باسمى ، فذلك أفعله ... إن سألتم شيئاً باسمى فإنى أفعله » (يو١٤ : ١٣ ، ١٤) .

ولعل من الوعود المعزية جداً ، والعجيبة أيضاً ، قوله لهم : « الحق الحق أقول لكم : من يؤمن بى ، فالأعمال التى أنا أعملها ، يعملها هو أيضاً ، و يعمل أعظم منها » (يو١٤ : ١٢) .

وفى جلسته الوداعية معهم ، زودهم بوصايا .

فن جهة علاقتهم ببعضهم البعض ، أعطاهم وصية واحدة لا غير وهى « هذه هى وصيتى ، أن تحبوا بعضكم بعضاً » . وإلى أى حد يارب يكون هذا الحب ؟ فيكمل وصيته قائلاً : « ... أن تحبوا بعضكم بعضاً ، كما

أحـبـبـتـكـم » (يو١٥ : ١٢) . **ومن يستطيع هذا ، أن نحب بنفس الحب** الـذى أحببتنا به ، حتى بذلت ذاتك عنا ، الحب الذى قيل فيه « ... أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم إلى المنتهى » (يو١٣ : ١) .

ولكن الرب يكرر نفس الوصية ، فى نفس الجلسة الوداعية : « وصية جديدة أنا أعطيكم ، أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا ، تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً » (يو١٣ : ٣٤) و يعتبر الرب أن هذه المحبة التى مثل محبته ، علامة التلمذة له ، فيقول « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان لكم حب ، بعضكم لبعض » (يو١٣ : ٣٥) .

إنه مستوى سامى جداً من الحب ، يطلبه الرب منا .

نحب بعضنا بعضاً ، كما أحبنا هو . وكيف أحبنا هو؟ يعمق الرب مفهومنا لهذا الحب ، فيقول « كما أحبنى الآب ، كذلك أحببتكم أنا . أثبتوا فى محبتى » (يو١٥ : ٩) . أصارحك يارب أن الأمر قد إزداد صعوبة فى الفهم ، أو صعوبة فى التنفيذ . وهنا نعرض وصية المحبة كما أعطيت لنا ، فى ثلاث نقاط :

أ ـ الآب أحب الإبن (وهى محبة غير محدودة بلا شك) .

ب ـ والإبن أحبنا ، بنفس المحبة (غير المحدودة) التى أحبه بها الآب .

جـ ـ والمطلوب أن نحب بعضنا بعضاً بهذا الحب .

ها مطانية يارب أمامك . أعترف أننا لم نصل ولن نصل مطلقاً إلى مستوى هذا الحب . حقاً إنها وصية جديدة .

جديدة فى مفهومها ، وجديدة فى مستواها ، وجديدة فى هذا التشبيه الذى شبهت به ... إننا مهما أحببنا ، ومهما بذلنا ، فلن نصل إلى محبة الإبن لنا ، أو إلى محبة الآب للإبن .

لهذا نتضع أمامك ، ونطلب أن تسكب فينا هذا الحب من عندك . من الروح القدس ، لأن الطاقة البشرية وحدها لا تستطيعه ... نحب بعضنا بعضاً ، كما أحبنا ! وكيف ذلك ؟

لقد أحب المسيح تلاميذه ، فى محبتهم له ، وفى ضعفاتهم .

كما أحبهم وهم يحبونه ، أحبهم أيضاً فى خوفهم وفى ضعفهم وفى هروبهم . قال لبطرس ستنكرنى ثلاث مرات . ولم يقل ذلك فى إنفعال ، ولا فى غضب ، إنما فى حب وإشفاق ، وهو يقول معها « طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك » . إنه يحبنا فى سقطاتنا وضعفاتنا ، لكى يخلصنا من هذه السقطات والضعفات ... « فيما نحن خطاة ، مات المسيح لأجلنا » (رو٥ : ٨) .

وفى البستان ، حينما تركوه وحده وناموا ، قابل أيضاً ضعفهم بإشفاق ، ونسب الضعف إلى الجسد فقط ، وقال عنهم « الروح نشيط ، أما الجسد فضعيف » (مت٢٦ : ٤١) « ناموا الآن واستريحوا » .

وسيأتى الوقت الذى أعطى فيه نشاطاً للروح والجسد معاً ...

أنتم الآن ضعفاء . هذا حق . لذلك لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعالى » (لو٢٤ : ٤٩) . وهذه القوة ستنالونها حين يحل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨) .

أنا لا أحتقر الضعف ، إنما فى حبى أمنح القوة .

هذه محبتى لكم . فماذا ستكون محبتكم لى ؟

سأضرب لكم مثالاً لهذه المحبة « أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان » (يو١٥ : ٥) . إذن نحبك يارب ، كما يحب الغصن كرمته ، إذ لا حياة له بدون الثبات فى الكرمة . إن إنفصل عنها يجف ويموت .

لذلك قال لهم الرب فى جلسته الوداعية « اثبتوا فى محبتى » « الذى يثبت فىَّ وأنا فيه ، هذا يأتى بثمر كثير» (يو١٥ : ٥) .

وماذا عن الذى لا يثبت ؟ قال الرب لهم « إن كان أحد لا يثبت فىَّ ، يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ، ويجمعونه و يطرحونه فى النار فيحترق » ولذلك « اثبتوا فىَّ ، وأنا فيكم » « اثبتوا فى محبتى » (يو١٥ : ٤ ، ٥) . ولعل التلاميذ يسألون :

كيف نستطيع يارب أن نحبك ، ونثبت فى محبتك .

يجيبهم الرب فى هذه الجلسة الوداعية « أن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى ، كما إنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته » (يو٥ : ١٠) . إذن فالمحبة ليست مجرد عاطفة ، ولا يليق بنا أن نحب بالكلام واللسان ... » (١يو٣ : ١٨) .

فمحبتنا للرب ، تظهر فى حفظنا لوصاياه ...

وهنا ذكر المسيح تلاميذه بوصاياه ، بكل ما سمعوه منه قبل ، لكى يعملوا به . ولكن ماذا يحدث إن نسوا ما قاله لهم ؟ لقد طمأنهم من جهة

هذا أيضاً . وقال لهم : سأرسل لكم الروح القدس المعزى . وذاك « يذكركم بكل ما قلته لكم » (يو١٤ : ٢٦) .

لقد إهتم المسيح بتلاميذه ، الذين ائتمنهم على نشر الإنجيل .

بذل كل الجهد لكى يثبتهم ، لأن فى ثباتهم ثباتاً للكنيسة كلها ، وثباتاً للإيمان الذى سيجاهد هؤلاء من أجله .

ومادام الأمر أمر الإيمان ، لذلك نرى أن المسيح فى هذه الجلسة الوداعية ، قد تكلم معهم فى أمور إيمانية .

فى جلسته معهم ، شمل حديثه أيضاً عقيدة الثالوث القدوس . فحدثهم عن الآب والروح القدس وعن ذاته ...

ذكرنا ما قاله لهم عن الروح القدس ، وعمله فيهم ، وحلوله عليهم ، ومكوثه معهم ، وإرشاده لهم ...

كذلك ما أكثر الحديث الذى قاله فى تلك الجلسة عن الآب « أنا ماض إلى أبى » « من عند الآب خرجت ، وأتيت إلى العالم ، وأيضاً أترك العالم وأرجع إلى الآب » (يو١٦ : ٢٨) .

« المعزى الذى سيرسله الآب بإسمى » « الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى » (يو١٥ : ٢٦) (يو١٤ : ٢٦) . هاتان آيتان ، كل منهما واضحة فى حديثها عن الثالوث القدوس .

أما عن علاقة الآب بالإبن ، فقال لهم :

« أنا فى الآب والآب فىّ » « الذى رآنى فقد رأى الآب » (يو١٤ : ٩-١١) . وكان قد قال لهم من قبل « أنا والآب واحد » (يو١٠ : ٣٠) .

وقد كرر هذه المعلومات ، فى صلاته لأجلهم .

فقال للآب « احفظهم فى إسمك الذين أعطيتنى ، ليكونوا واحداً كما نحن » (يو١٧ : ١١) . فأعلن هنا أنه والآب واحد ... وكرر هذا المعنى أيضاً فى صلاته فقال « ليكونوا واحداً ، كما أننا نحن واحد . أنا فيهم ، وأنت فىَّ ، ليكونوا مكملين إلى واحد » (يو١٧ : ٢٢ ، ٢٣) . وقال أيضاً « ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب فىَّ ، وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » (يو١٧ : ٢١) .

إنه يقدم لهم العقيدة فى كلامه ، وفى صلاته .

ثم يحدثهم عن الآب الذى يحبهم ...

فيقول « الذى يحبنى ، يحبه أبى ، وأُظهر له ذاتى » (يو١٤ : ٢١) . « إن أحبنى أحد ، يحفظ كلامى ، ويحبه أبى ، وإليه نأتى ، وعنده نصنع منزلاً » (يو١٤ : ٢٣) ... إنه يريد أن يربطهم بالآب ، فيحدثهم عن الآب ومحبته لهم . وهكذا يقول « تأتى ساعة ، حين لا أكلمكم بأمثال ، بل أخبركم عن الآب علانية ... لأن الآب نفسه يحبكم ، لأنكم قد أحببتمونى ، وآمنتم أنى من عند الآب خرجت » (يو١٦ : ٢٥ ، ٢٧) .

وفى صلاته عنهم ، يريدهم أن يعرفوا الآب .

فيقول « أيها الآب ... مجد إبنك ... هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيق وحدك ، و يسوع المسيح الذى أرسلته » (يو١٧ : ١-٣) .

لقد عرف التلاميذ المسيح . ولكنه يريد أن يعرفهم بالآب أيضاً ، و يعرفهم أن كل شىء هو من الآب . وقد نجح فى كل هذا ، إذ يقول فى صلاته لله الآب :

« أنا أظهرت إسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم ... والآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك » (يو١٧ : ٦، ٧) .

المسيح وهو ماض إلى الآب ، يربط تلاميذه بالآب :

وهكذا يقول : أيها الآب البار ، إن العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك . وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتنى . وعرفتهم إسمك ، وسأعرفهم ، لكى يكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، وأكون أنا فيهم .

وبهذا الحب ، طلب من الآب أن يحفظهم .

وهكذا قال فى صلاته « لست أنا بعد فى العالم . وأما هؤلاء فهم فى العالم ... إيها الآب القدوس ، أحفظهم فى إسمك ... لست أسألك أن تأخذهم من العالم ، بل أن تحفظهم من الشرير » .

« حين كنت أنا معهم فى العالم ، كنت أحفظهم ... أما الآن فإنى آتى إليك » ... أحفظهم فى إسمك (يو١٧ : ١١-١٥) .

والمسيح يصلى أيضاً أن يكون معهم باستمرار :

فيقول « أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذى أعطيتنى يكونون معى ، حيث أكون أنا » (يو١٧ : ٢٤) .

إنها عبارة مؤثرة ، تدل على مدى الحب العميق الذى فى قلب السيد المسيح من نحو تلاميذه ...

حب المسيح لتلاميذه ، وحفظه لهم ، كان أمراً لازماً .

لأنه إن كان الشيطان قد بدأ يعمل ضدهم ، وأزمع أن يغربلهم ، فلابد من الناحية الأخرى أن يعمل المسيح لحفظهم ... يقويهم و يعزيهم ، و يعدهم للتجربة المقبلة ، بحبه وحفظه ، و بكلامه معهم ، وصلاته لأجلهم ...

وهذا الحب الذى فى قلبه نحوهم ، يشجعنا نحن .

يذكرنا بأننا لسنا وحدنا ، بل أنه معنا كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر ، و يذكرنا بتعزياته الإلهية ، وأعداده لأولاده قبل الضيقة ، كما يذكرنا بمحبة الآب وحفظه لنا .

و يذكرنا أيضاً أن صلاة المسيح قد شملتنا كذلك بقوله :

« لست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم » (يو١٧ : ٢٠) .

مبارك أنت يارب ، فى كل محبتك وحفظك .

نسألك أن تكون معنا ، كما كنت مع تلاميذك ورسلك القديسين ، بنفس الحب ، ونفس الحفظ ، ونفس الرعاية .

حقاً إن صلاتك قد حفظت التلاميذ . ومع أنهم ضعفوا بعض الشيء ، إلاَّ أن الإيمان بقى ثابتاً فيهم ، لم يتزعزع ...

وهذا الإيمان الذى فيهم وصل إلينا ، بكرازتهم ...

واستطاع هؤلاء يارب أن « يأتوا بثمر كثير » كما أوصيتهم (أع ١٥ : ٨) .

كل ذلك كان ببركة آلامك المقدسة ، وبمحبتك لتلاميذك وتثبيتك لهم فى يوم الخميس الكبير الذى غسلت فيه أرجلهم ، طهرتهم ، ومنحتهم جسدك ودمك ، وجلست إليهم تعزيهم وتقوى إيمانهم .

لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين .



كتابان آخران عن أسبوع الآلام

للبابا شنوده الثالث

هما : ١ ـ كلمات المسيح على الصليب

٢ ـ تسبحة البصخة « لك القوة والمجد »

يمكن أن يكونا معك أيضاً فى أسبوع الآلام

الكتاب القادم :

اليقظـــة الروحيـــة

يصدر فى بداية الخماسين المقدسة ١٩٨٢ .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٢/٢٨٦٦



أيها القارىء العزيز...

إن تأملنا معاً فى أحداث يوم الخميس الكبير، تواجهنا ثلاثة أمور هى :

١ - غسل الرب لأرجل تلاميذه

٢ - تأسيسه لسر الإفخارستيا

٣ - اهتمامه بتلاميذه ، وخطابه الوداعى لهم ، وصلاته لأجلهم .

وعن تلك الأمور الثلاثة ، أو عن معانيها الروحية ، يريد هذا الكتاب أن يتحدث إليك...

تراه ماذا سيقول ؟

شنوده الثالث

